

الْوَسَائِلُ الْمُفِيدَةُ لِلْحَيَاةِ

السَّعِيدَةِ

لِلشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَاصِرِ السَّعْدِيِّ
(1307-1376 هـ)

وَيْلِهَا

الْقَصِيدَةُ

نَظْمُ الْوَسَائِلِ الْمُفِيدَةِ لِلْحَيَاةِ السَّعِيدَةِ

لِلشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَجَاحِ آلِ طَاجِنٍ

تَقْدِيمُ

الشَّيْخِ عَزِّ الدِّينِ رَمْضَانِي

اعْتَنَى بِهَا

أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَمْرِو الْجَزَائِرِيِّ

○ قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ:
اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْمَسْئُولُ الْمَرْجُوُ الْإِجَابَةُ أَنْ يَتَوَلَّاهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ...،
وَأَنْ يَجْعَلَكُمْ مِمَّنْ:
إِذَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ؛ شَكَرَ.
وَإِذَا ابْتَلَى؛ صَبَرَ.
وَإِذَا أَذْنَبَ؛ اسْتَغْفَرَ.
فَإِنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ الثَّلَاثَةَ هِيَ عُنوانُ سَعَادَةِ الْعَبْدِ.

الوابل الصيب صفحة 5 ط / دار عالم الفوائد.

تقديم الشيخ عز الدين رمضاني¹ - حفظه الله ورعاه -

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

فهذه المجموعة المباركة من سلسلة؛ "تقريب المتون العلمية" لمُعَدِّها والمُعْتَنِي بِهَا الأخ الفاضل؛ طالبُ العلم النَّجيب²؛ أبو عبد الرحمن اسماعيل بن عمر الجزائري، جُهدٌ يَنُضَافُ إلى حلقات طُلَّابِ العلم، ودُرَّةٌ ثَمِينَةٌ لِمَنْ رَامَ الطَّلَبَ والتَّحْصِيلَ على أُسُسٍ مَتِينَةٍ، وقَوَاعِدَ رَاسِخَةٍ، ومَفَاهِيمَ مُوَصَّلَةٍ، وسَبِيلٍ وَاضِحَةٍ، وَفَقَّ مَنَهِجٍ مُحَقِّقٍ وَعِلْمٍ مُدَقِّقٍ، تَسِيرُ بِصَاحِبِهَا فِي رَكْبِ أُمَّةِ السُّنَّةِ ودُعَاةِ الْحَقِّ والهُدَى.

1 شيخنا الفاضل ارتبط بالعلم والدعوة وارتبطت به، حتى أصبح فيها وبها أشهر من نار على علم، شيخ في الخطابة والتدريس، وشيخ في التعليم والتربية، وشيخ في الأدب والخلق، وشيخ في المنهج والاعتقاد، وشيخ في التفسير وعلومه، والحديث وفنونه، والفقه أصوله وفروعه.. زاده الله علما وعملا ودعوة، ورزقنا الانتفاع منه وبه، وأنا معاشر الطلبة في حقه لمقصرون، فالأدب الأدب رعاكم الله مع مشايخنا في القول والفعل، عند حضورهم وحال غيابهم، فذلك من بركة العلم وأثر تعظيم أهله.

2 هذا من حسن ظن الشيخ بي وإلا فالله يعلم أنني ضعيف في الطلب، ضعيف في العمل، ضعيف في الدعوة.. والله أسأل أن يتجاوز عني وعن كل مقصر، وهذا أقوله بيانا لحقيقة الحال ومعرفة بقدر التفريط والتقصير وليس تواضعا أو تورعا...

وقد اجتهد الأخ الفاضل - حفظه الله - في إخراجها في صورة بهيئة خطّ وتشكيلاً، حيث اعتمد على بعض النسخ الخطيّة مع إثبات نسبتها إلى صاحبها، وقد أبان عن منهجه في العمل على ذلك المتن أو النظم، ويجد القارئ لبعض هذه المتون نظماً مُوافقاً للمنثور، لتقريب الفن وتدريب الطالب على ترسيخ معلومه وضبط محفوظه.

والله الكريم أسأل أن ينفع بها معدّها وقارئها وحافظها وشارحها وموزّعها، وكلّ من أعان على نشرها وأسهم في تعميم الفائدة بها، إنّه سبحانه جواد كريم. وصلى الله وسلّم وبارك على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه.

وكتب

أبو عبد الله عزّ الدين رمّاني

عشيّة الأحد 20 من ذي الحجة 1436 هـ

الموافق لـ 4 من أكتوبر سنة 2015 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المُقَدِّمَةُ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَغِيثُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) [سورة النساء، الآية: 1].

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) [سورة آل عمران، الآية: 102].

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) [سورة الأحزاب، الآيتان: 70، 71].

أمَّا بعد:

فإنَّ أصدقَ الحديثِ كلامُ اللهِ، و خيرَ الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم،
وشرُّ الأمور محدثاتها وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النار.

فإنَّ ممَّا لا شكَّ فيه و لا ريبَ أنَّ السَّعادة هي منشودة كلِّ إنسانٍ،
ومخطوب كلِّ ذي حُسنٍ وعرْفانٍ، فجميعُ النَّاسِ يَنشُدونَ السَّعادةَ ويَرجونها، فهي
غايَتُهُم ومُنَاهِم، وهي ديدَنُهُم ونجْوَاهم.

ولكن كيف يُظفرُ بالمطلوبِ ويُتَحَصَّلُ على المرغوبِ ؟

تفاوتتْ أفهامُ النَّاسِ في ذلك، وتغايرتْ سُبُلُهُم فكلُّ في طريقٍ سالكٌ؛
بعضُهُم يبحثُ عن السَّعادة في جمعِ المالِ، واستحواذِهِ مِن كافَّةِ الوجوه، ويرى أنَّ
السَّعيدَ مَنْ كَثُرَ ماله.

و بعضُهُم يبحثُ عنها في اللهو واللَّعب، وشغلِ الأوقاتِ وإِضاعتِها فيما لا نفعَ فيه.
و بعضُهُم يبحثُ عنها في ارتكابِ المحرَّماتِ وارتياحِ المنكراتِ، مِن شربِ خمرٍ وزنا
و سماعِ آلاتِ لهوٍ وغناءٍ وغيرِ ذلك.

و بعضُهُم يبحثُ عنها في..

و بعضُهُم.. الكلُّ يَنشُدُ ويَبْحَثُ.

كثرةُ هُمومِهِم، وعظمتُ غمومِهِم، وأُشربتْ بالأحزانِ قُلُوبُهُم.

ولكن كيف الحُصولُ على السَّعادة ؟

إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ خالقُ هذا الكونِ ومُوجِدُهُ شاءَ وقَدَّرَ أنَّ السَّعادة لا تكونُ إلَّا في
سُلوِكِ طَريقِهِ و اتِّباعِ هُدايِهِ، وأنَّ الشَّقَاءَ لِمَن عصاهُ وأعرضَ عن ذِكْرِه وهُدايِهِ.

﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ
فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى وَكَذَلِكَ نُجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴿[سُورَةُ طه، الآية: 123 - 127].

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سُورَةُ النَّحْلِ، الآية: 97].

فَهَدَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ لِلسَّعَادَةِ، وَحَقَّقَ لَهُمْ طَرِيقَ الْخَلَاصِ وَالنَّجَاةِ، وَجَنَّبَهُمْ طَرِيقَ الضَّنْكِ وَالشَّقَاءِ وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ.¹

هَذَا وَإِنَّ "مِمَّا يَنْبَغِي الْإِعْتِنَاءَ بِهِ عِلْمًا وَمَعْرِفَةً وَقَصْدًا وَإِرَادَةً:

الْعِلْمُ بِأَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ بَلَّ كُلَّ حَيَوَانٍ إِنَّمَا يَسْعَى فِيمَا يُحْصِلُ لَهُ اللَّذَّةَ وَالنَّعِيمَ وَطَيِّبَ الْعَيْشِ، وَيَنْدَفِعُ بِهِ عَنْهُ أَضْدَادُ ذَلِكَ.

وَهَذَا مَطْلُوبٌ صَحِيحٌ يَتَضَمَّنُ سِتَّةَ أُمُورٍ:

1. أَحَدُهَا: مَعْرِفَةُ الشَّيْءِ النَّافِعِ لِلْعَبْدِ الْمَلَأَمِّ لَهُ، الَّذِي بِحُصُولِهِ لَذَّةٌ وَفَرَحُهُ وَسُرُورُهُ وَطَيِّبُ عَيْشِهِ.

2. الثَّانِي: مَعْرِفَةُ الطَّرِيقِ الْمَوْصِلَةِ إِلَى ذَلِكَ.

3. الثَّلَاثُ: سُلُوكُ تِلْكَ الطَّرِيقِ.

4. الرَّابِعُ: مَعْرِفَةُ الصَّارِ الْمُؤْذِي الْمُنَافِرِ الَّذِي يُتَكَدُّ عَلَيْهِ حَيَاتِهِ.

5. الْخَامِسُ: مَعْرِفَةُ الطَّرِيقِ الَّتِي إِذَا سَلَكَهَا أَفْضَتْ بِهِ إِلَى ذَلِكَ.

6. السَّادِسُ: تَجَنُّبُ سُلُوكِهَا.

فَهَذِهِ سِتَّةُ أُمُورٍ لَا تَتِمُّ لَذَّةُ الْعَبْدِ وَسُرُورُهُ وَفَرَحُهُ وَصَلَاحُ حَالِهِ إِلَّا بِاسْتِكْمَالِهَا، وَمَا نَقَصَ مِنْهَا عَادَ بِسُوءِ حَالِهِ وَتَنَكُّدِ حَيَاتِهِ...¹

1 من مقدمة الشيخ عبد الرزاق البدر لتحقيقه للكتاب صفحة 5 - 6.

" إِذَا عَرَفْتَ هَذِهِ الْمَقْدَمَةَ؛

فَاللَّذَةُ النَّامَةُ، وَالْفَرْحُ وَالسُّرُورُ وَطِيبُ الْعَيْشِ إِنَّمَا هُوَ فِي: مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَتَوْحِيدِهِ
وَالْأُنْسِ بِهِ وَالشُّوقِ إِلَى لِقَائِهِ، وَاجْتِمَاعِ الْقَلْبِ وَالْهَمِّ عَلَيْهِ.²

وَهَذِهِ الرِّسَالَةُ الَّتِي بَيْنَ يَدَيْكَ قَدْ أَوْضَحَ فِيهَا مُؤَلِّفُهَا، طُرُقَ السَّعَادَةِ
وَسُبُلَهَا، وَبَيَّنَّ طُرُقَ تَلَا فِي الْهُمُومِ وَالْغُمُومِ وَالْأَحْزَانِ.

فَهِيَ عَلَى صِغَرِ حَجْمِهَا عَظِيمٌ نَفْعُهَا، وَالْحَاجَةُ مَاسَّةٌ إِلَيْهَا لِكُلِّ إِنْسَانٍ، لِأَسِيَا فِي هَذِهِ
الْأَزْمَانِ الَّتِي كَثُرَتْ فِيهَا الْفِتَنُ وَعَظُمَتْ فِيهَا الْمِحَنُ.³

○ وَعَمَلِي الْمَتَوَاضِعِ عَلَى هَذِهِ الرِّسَالَةِ الطَّيِّبَةِ يَتِمُّ فِي:

1. ضَبْطِ نَصِّ الرِّسَالَةِ بِمُقَابَلَتِهَا عَلَى عِدَّةِ نُسَخٍ مَطْبُوعَةٍ دُونَ إِثْبَاتِ الْفُرُوقِ
الضَّئِيلَةِ الْوَاقِعَةِ بَيْنَ النُّسخِ حَتَّى لَا تُثْقِلَ الْحَوَاشِي بِمَا قَدْ تَكُونُ فَائِدَتُهُ قَلِيلَةً.

2. تَقْسِيمِ نَصِّ الرِّسَالَةِ إِلَى فِقَرَاتٍ مُتَبَايِنَةٍ، مَعَ تَرْقِيمِ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ الَّتِي
عَدَّدَهَا الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ بِحَسَبِ مَا ظَهَرَ لِي وَهُوَ أَمْرٌ قَابِلٌ لِلزِّيَادَةِ وَالنَّقْصِ بِحَسَبِ
نَظَرِ الْقَارِئِ الْمُتَأَمِّلِ لَكِنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ ذَلِكَ التَّقْرِيبُ وَالتَّيْسِيرُ لَا التَّدْقِيقُ وَالتَّحْرِيرُ
فَمَقَامُ ذَلِكَ الشَّرْحُ وَالتَّوْضِيحُ.

3. تَشْكِيلِ النَّصِّ تَشْكِيلًا أَظُنُّهُ تَامًّا، لِتَقْرِيبِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ،
فَعَدَمُ تَشْكِيلِ النَّصِّ يَجُولُ- فِي أَكْثَرِ الْأَحْيَانِ- بَيْنَ الْكُثْبِ وَبَيْنَ اسْتِفَادَةِ النَّاسِ مِنْهَا.

4. وَضْعَ مُقَدِّمَةٍ مُوَضَّحَةٍ لِمَنْهَجِ التَّحْقِيقِ.

1 رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه طبعة دار عالم الفوائد صفحة 28.

2 رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه طبعة دار عالم الفوائد صفحة 32.

3 من مقدمة الشيخ عبد الرزاق البدر لتحقيقه للكتاب صفحة 6.

5. وَضَعُ تَرْجَمَةٍ مُوجِزَةٍ لِصَاحِبِ الرِّسَالَةِ فَهُوَ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يُعَرَّفَ بِمِثْلِهِ.

6. وَضَعُ تَعْرِيفَ بِالرِّسَالَةِ يُبَيِّنُ مَوْضُوعَهَا، وَيُقَرِّبُ مَرَامَهَا، بِاللُّطْفِ عِبَارَةٍ وَأَقْرَبِ إِشَارَةٍ، مَعَ الْإِعْتِنَاءِ كَمَا هُوَ دَائِمًا الْحَالُ فِي هَذِهِ السِّلْسِلَةِ " تَقْرِيبُ الْمُتُونِ الْعِلْمِيَّةِ " بَيَانِ طَبَعَاتِهَا وَشُرُوحَاتِ وَأَعْمَالِ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَيْهَا...، وَ مَا يَتَّبَعُ ذَلِكَ وَيَلْحَقُهُ مِمَّا لَا غِنَى لِطَالِبِ الْعِلْمِ عَنْهُ فِي سَيْرِهِ لِطَلَبِ الْعِلْمِ وَرَفَعِ الْجَهْلِ...، وَكُنْتُ بِصَدْدِ إِيرَادِ بَعْضِ التَّعْلِيقَاتِ عَلَيْهَا، خُصُوصًا مِنْ كَلَامِ ابْنِ سَعْدِي مِنْ بَعْضِ كُتُبِهِ، لَكِنْ رَأَيْتُ أَنَّ الْأُخْرَى بِذَلِكَ هُوَ الشَّرْحُ يَسِّرُ اللَّهُ تَعَالَى إِتِمَامَهُ وَتَبْيِيزَهُ¹.

وَاللَّهُ مِنْ وَرَاءِ الْقَصْدِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

كُتِبَهُ:

أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِسْمَاعِيلُ ابْنُ عُمَرَ الْجَزَائِرِيِّ
عَشِيَّةَ يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ 14 مِنْ رَمَضَانَ سَنَةِ (1435) هـ.
بِحِجْزِ عَيْنِ النُّعْجَةِ، الْجَزَائِرِ الْعَاصِمَةِ.

1 الموسوم بـ: " التوضيحات السديدة بشرح الوسائل المفيدة للحياة السعيدة ".

التَّعْرِيفُ بِالمُؤَلِّفِ وَالْمُؤَلَّفِ

التَّعْرِيفُ بِالْمَوْلِّفِ¹

1 استفتدتها ونقلتها بأكملها من مقدِّمة الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْخَضِيرِيِّ - حفظه الله تعالى - في تحقيقه لكتاب " **منهج السالكين** " للشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَاصِرِ السَّعْدِيِّ - رحمه الله تعالى - صفحة 17 - 27 مع تصرف فيها بالزيادة والتقصان.

● اسمه ونسبه:

هو أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سبيدي، من نواصر بني تميم.

● نشأته:

وُلِدَ في عُنَيْرَة (1307/1/12)¹، وتُوفيت والدته وعُمُرُه أربع سِنين، ثم تُوُفِّي والدُه وعُمُرُه سَبْع سَنواتٍ، فَنشَأَ يَتِيمَ الأبوين. وكَفَلَتْهُ زَوْجَتُهُ وَالِدُهُ، وَأَحَبَّتْهُ كَثِيرًا، فَلَمَّا شَبَّ صَارَ فِي بَيْتِ أَخِيهِ الْأَكْبَرِ: حَمَد، الَّذِي دَفَعَ بِهِ إِلَى حَلَقَاتِ الْعِلْمِ، وَكَفَاهُ مَوْوَنَةَ الْعَيْشِ. أَمَّا وَالِدُهُ فَقَدْ كَانَ حَافِظًا لِلْقُرْآنِ، مُحِبًّا لِلْعِلْمِ وَأَهْلِهِ، مَشْهُورًا بِالْبَذْلِ وَالْإِحْسَانِ، وَكَانَ يَقْرَأُ عَلَى النَّاسِ الْكُتُبَ النَّافِعَةَ أَدْبَارَ الصَّلَوَاتِ، وَيَنْوِبُ عَنْ إِمَامِ الْمَسْجِدِ وَخَطِيْبِهِ.

وَأَمَّا أُمُّهُ فَهِيَ مِنْ آلِ عَثِمِينَ، مِنَ الْوَهْبَةِ.

نشأ الشيخ نشأةً صالحةً؛

حَفِظَ الْقُرْآنَ وَلَمْ يَتَجَاوِزِ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمُرِهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى طَلَبِ الْعِلْمِ وَتَحْصِيلِهِ بِهَيْمَةِ عَالِيَةٍ عَلَى شُيُوخِ بَلَدِهِ، وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ وَفَدُوا عَلَيْهِ، وَمِنْ أَمْزَجِهِمْ:

1 - إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَمْدِ بْنِ جَاسِرٍ (ت 1338).

2 - إِبْرَاهِيمُ بْنُ صَالِحِ بْنِ عَيْسَى (ت 1343).

3 - صَالِحُ بْنُ عَثْمَانَ الْقَاضِي (ت 1351).

1 جميع التواريخ المذكورة إنما هي بالتاريخ الهجري القمري، وهو الأصل عند المسلمين، ولذا لم أضع رمز (هـ) بعدها.

4 - صعب بن عبد الله التويجري (ت1339).

5 - عبد الله بن عايض العويضي الحربي (ت1322).

6 - علي بن محمد السناني (ت1339).

7 - علي بن ناصر أبو وادي (ت1361).

8 - محمد الأمين محمود الشنقيطي (ت1351).

9 - محمد بن عبد العزيز بن مانع (ت1385).

10 - محمد بن عبد الكريم الشبل (ت1343).

وقد أُعْجِبَ بِهِ مَشَاجِيْهُ؛ لِذَكَائِهِ وَبُلِيَّةِ وَاسْتِقَامَتِهِ، وَحِرْصِهِ عَلَى الطَّلَبِ مَعَ سُمُوِّ
أَخْلَاقِهِ.

وَكَانَ يَحْفَظُ كَثِيرًا مِنَ الْمُثُونِ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ، وَإِذَا اسْتَشْهَدَ بِهَا لَمْ يُعْنِثْهُ
الِاسْتِشْهَادُ، يَهْدُهَا هَذَا؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَتَعَاهَدُهَا دَائِمًا.

وَقَدْ تَأَثَّرَ الشَّيْخُ كَثِيرًا بِمَدْرَسَةِ الشَّيْخِينَ: شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ،
وَتَلْمِيذِهِ ابْنِ الْقَيِّمِ، فَقَرَأَ كُتُبَهُمَا، وَلَخَّصَهَا، وَشَرَحَهَا، وَحَثَّ الطَّلَآبَ عَلَى قِرَاءَتِهَا، وَبَدَأَ
أَثَرَ تَتَلَمُّذِهِ عَلَى مَوْلاَفَاتِهَا وَاضْحًا فِي كَلَامِهِ وَاخْتِيَارَاتِهِ الْفِقْهِيَّةِ، وَطَرِيقَةِ اسْتِنْبَاطِهَا،
وَتَحْرِيرِهِ مِنْ رِبْقَةِ التَّقْلِيدِ، وَحِرْصِهِ عَلَى اتِّبَاعِ الدَّلِيلِ.

● أَعْمَالُهُ وَتَعْلِيمُهُ:

لَمَّا ظَهَرَ بُرُوعُ الشَّيْخِ وَهُوَ فِي رِيعَانِ الشَّبَابِ صَارَ أَقْرَانُهُ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ،
وَيَسْتَفِيدُونَ مِنْهُ، وَلَمَّا بَلَغَ الثَّلَاثَةَ وَالْعِشْرِينَ مِنْ عُمُرِهِ جَلَسَ لِلتَّدْرِيسِ مَعَ عَدَمِ

انقطاعه عن الطّلب، ومن عام (1350) صار مرجع النّاس في بلده في التّدريس والفتيا، وأصبح عليه المعول في أخذ العلوم.
من تلاميذه:

- 1 - إبراهيم بن عبد العزيز الغرير (ت 1401).
- 2 - إبراهيم بن محمد العامود (ت 1394).
- 3 - حمد بن إبراهيم القاضي (ت 1395).
- 4 - حمد بن محمد البسام.
- 5 - حمد بن محمد المرزوقي.
- 6 - سليمان بن إبراهيم البسام (ت 1377).
- 7 - سليمان بن محمد الشبل (ت 1386).
- 8 - صالح بن عبد الله الزغبني إمام المسجد النبوي (ت 1372).
- 9 - عبد العزيز بن علي بن مساعد (ت 1411).
- 10 - عبد العزيز بن محمد السلّمان، صاحب المؤلّفات المشهورة (ت 1422).
- 11 - عبد الله بن عبد الرحمن البسام، عضو هيئة كبار العلماء، ومجمع الفقه الإسلامي.
- 12 - عبد الله بن عبد العزيز الخضير (ت 1393).
- 13 - عبد الله بن عبد العزيز العقيل، عضو مجلس القضاء الأعلى سابقاً (ت 1432).
- 14 - علي بن حمد الصالح (ت 1415).
- 15 - علي بن زامل آل سليم (ت 1418).
- 16 - محمد بن سليمان البسام.

17 - محمد بن صالح الخزيم (ت1394).

18 - محمد بن صالح العثيمين، أشهر تلاميذ الشيخ، وعضو هيئة كبار العلماء (ت1421).

19 - محمد بن عبد العزيز المطوع (ت1387).

20 - محمد بن عثمان القاضي.

21 - محمد بن منصور الزامل (ت1413).

وغيرهم كثير، رَحِمَ اللهُ المَيِّت، وَمَتَّعَ وَنَفَعَ بِالْحَيِّ.

ومع هذه المهمة الأساس كان يقوم بأعمال جمّة:

كإمامة الجامع.

والفتيا.

وكتابة الوثائق، وتحرير الأوقاف والوصايا، وعقود الأنكحة.

وكان مُستشاراً أميناً لكلِّ مَنْ استشاره واستنصحه، ولم يكن يأخذ على شيءٍ ممّا كان يَعْمَلُهُ شيئاً من حُطَامِ الدُّنْيَا.

كما كان أحد المساهمين في تأسيس المكتبة الوطنية بَعْنِيزَة عام (1359)، وتأمين المراجع العلميّة؛ لِتَكُونَ في مُتناولِ الطَّلَبَة.

كما قام بالإشراف على المعهد العلميّ بَعْنِيزَة لما افتُتِح عام (1373)، وقد عُيِّنَ له راتبٌ شهريّ مقابل إشرافه، فتركه الشيخ احتساباً.

كما عُرِضَ عليه القضاء عام (1360)، فامتنع تورّعاً وحرصاً على عدم الالتزام بعملٍ رسميٍّ يُشغله عن العلم والتّعليم، وكُرِّرَ عليه العرْضُ مراراً فلم يقبل.

أمّا عن تنظيمه لوقته، فقد كان يجلسُ أربعَ جلساتٍ في اليوم، حيثُ كان يُصليُ الفجرَ بالنّاسِ ثمَّ يجلسُ لأداءِ الدّرسِ حتّى تطلع الشّمس، ويذهبُ بعدَ ذلكَ إلى بيته حتّى ارتفاع الضّحى، ثمَّ يعودُ إلى المسجدِ ليدرسَ الطّلبة فنوناً مُتنوّعة على ترتيبِ اختاره الشّيخ، ويستمرُّ حتّى صلاةِ الظّهر، فيصليُ بالنّاسِ، ثمَّ يعودُ إلى بيته إلى صلاةِ العصر.

وبعدَ صلاةِ العصرِ يُلقِي درساً في بعضِ ما يُهمُّ النّاسَ معرفته من دينهم في بضع دقائق، وبعد صلاةِ المغربِ يُلقِي على طُلابه درساً حتّى يُصليَ العشاء، وذلكَ كلّ يومٍ.

وكان من هديه مع طُلابه:

أنّه يستشيرهم في الكتابِ الذي يريدون قراءته.

ويعقدُ المناظراتِ بينهم لإحياءِ الثّفافِ في الطّلب، وترسيخِ المسائلِ في الدّهن.

ويطرحُ عليهم المسائلَ ليستخرجَ منهم الجواب.

وأحياناً يتعمّد تغليطَ نفسه ليعرفَ المنتبه والفاهم من بين الحضور.

وقد يُصوّر المسألة الخلافية بين الطّالين، كلّ واحدٍ يتبنّى قولاً ويدافع عنه، ثمَّ يَرَجِّحُ الشّيخُ القولَ الصّحيحَ بالدّليلِ أو التّعليل.

وكان كثيراً ما يطلبُ من التّلاميذ إعادةَ ما فهموه من الدّرس، ولم يكن يغفلُ في بداية الدّرسِ مُناقشة الطّلبة فيما أخذوه في الدّرس السابق، ممّا يدفعهم به إلى الاستدكار والمراجعة.

وكان - رحمه الله - يُخَصِّصُ المكافآت لَهُم تشجيعاً على طلب العلم، وإعانة لَهُم على العيش.

• صفاته الخلقية والخلقية:

كان الشيخ قصير القامة، مُمتلئ الجسم، أبيض اللون، مُشرباً بالحُمرة، مُدور الوجه، طلقه، كث اللحية - بيضاء - قد ابيضت مع رأسه وهو صغير، ووجهه حسن، عليه نورٌ في غاية الحسن، وصفاء اللون.

أمّا أخلاقه؛ فكان آيةً في مكارم الأخلاق، أوفى فيها على الغاية، وله اليد الطولى - بفضل الله - في كل سجية؛ لا يكاد يُشقُّ له غبارٌ في هذا الميدان؛ مع ما أُوتيته من التواضع الجَمِّ للصغير والكبير، والقريب والبعيد.

والزهد في الدنيا، والإعراض عنها مع إقبالها إليه، عُرضت عليه المناصب فأبأها، وأقبلت عليه الدنيا فنفاها.

وكان - رحمه الله -؛

كثير الحج، عفيفاً، عزيز النفس مع قلة ذات يده، يُسلم على الصغير والكبير، يُجيب الدعوة، ويعودُ المرضى، ويُشيع الجنائز، تستوقفه العجوزُ والطفلُ الصغير فيقضي حوائجهم، ويُجيب مسائِلهم، وكان يُكلِّم كلَّ إنسانٍ بما يُصلحه ويصلح له، أوتي قدرةً على حلِّ المضلات التي تحلُّ بالناس بيسرٍ - وسهولةٍ، وعلى فضِّ المتازعات بذكاءٍ وحكمةٍ.

قال تلميذه الشيخ عبد الله البسام: له أخلاق أرق من النسيم، وأعذب من السلسيل، لا يُعاتب على الهفوة، ولا يؤاخذ بالجفوة، يتودّد ويتحبّب إلى البعيد والقريب، يُقابل بالبشاشة، ويُحيي بالطلاقة، ويُعاشِر بالحسنى، ويُجالس بالمنادمة، ويُجاذِب أطراف الحديث بالأنس والودّ، ويعطف على الفقير والصغير، ويذل طاقته ووسعه، ويساعد بماله وجهه وعمله ورأيه ومشورته ونصحه، بلسان صادق، وقلب خالص، وسرّ مكثوم.

كما كان جريئاً في الحق، ناصحاً للخلق، لا تأخذه في الله لومة لائم، نحسبه كذلك والله حسيبه، ولا تُزكّي على الله أحداً.

وقد مدحه واصفوه؛ بقوة الحافظة، وسرعة الاستحضار، ودقة الاستنباط، وسهولة المآخذ، وصفاء القرينة، وحضور البديهة، وحسن الصوت، ممّا جعل لأحاديثه ومخاوراته وقعا في قلوب الخلق، حملهم على محبته والثقة به، ومن قرأ كتبه عرف أنّ وراءها فخلاً من فحول العلم.

وكان من شدة حرصه على نفع الخلق، ونشر العلم، ودعوة الناس يكثر الاجتماع بالناس؛ لا يتقطع عن زيارتهم في بيوتهم، ومشاركتهم في مناسباتهم، مع دُعاة لا تُسقط من حرمة، ولا تُخل بوقاره، مع ما كان عليه من شدة الحب والرحمة للفقراء، خصوصاً من طلاب العلم؛ حرصاً منه على تفرغهم له، وقطع ما يُشغلهم عنه، من الكسب والكيد.

وكان يستمع إلى نصيح الناس واقتراحاتهم، ويأخذها مأخذ الجدّ، ويتقبلها بصدر رحب، جاءه أحد الصالحين فأشار عليه بأن يضع مكبر الصوت في المسجد؛ ليسمع الناس النداء والخطبة بلا عناء، وبين له فوائد هذا الصنيع، فشرح الله صدر الشيخ، وشكر الناصح، ووعدّه أن يتم ما اقترحه خلال الأسبوع، فكان الشيخ أول من أدخل هذا الجهاز إلى مساجد بلده.

يَقْرَأُ لَهُ بِالْفَضْلِ مَنْ كَانَ مُنْصِيفًا إِذَا قَالَ قَوْلًا كَانَ بِالْقَوْلِ أَمْثَلًا
وَقَدْ حَدَّثْتُ أَنَّ أَحَدَ تَلَامِيذِهِ رَأَاهُ بَعْدَ مَوْتِهِ، فَسَأَلَهُ عَمَّا صَنَعَ اللَّهُ بِهِ؛ فَبَشَّرَهُ-
بِخَيْرٍ، وَقَالَ لَهُ: بِمَ نِلْتَ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: بِحُسْنِ الْخُلُقِ.
فَهَيِّئْنَا لَهُ، فَلَيْسَ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ شَيْءٌ أَثْقَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ، كَمَا
أَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ¹.

• من مؤلفاته :

عَنِ الشَّيْخِ بِالتَّأْلِيفِ، وَتَقْرِيبِ الْعُلُومِ لِلْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ، وَقَدْ أُلِيْنَتْ لَهُ الْكِتَابَةُ،
وَذُلِّلَ لَهُ التَّصْنِيفُ، فَلَمْ يَكُنْ مُتَكَلِّفًا فِي هَدْيِهِ كُلِّهِ، وَلَا فِي تَأْلِيْفِهِ، وَمَنْ طَالَعَ كُتُبَهُ
تَعَجَّبَ مِنْ سُهُولَةِ عِبَارَتِهِ، وَقُرْبِ مَاخِذِهِ، وَخِفَاةِ الْمَعَانِي الَّتِي يَحُومُ حَوْلَهَا، وَيُرِيدُ
تَقْرِيرَهَا، وَلَمْ يُشْغَلْ نَفْسُهُ فِي شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ الْعِلْمِ وَزَعْلِهِ، ثُمَّ لَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي فَهْمِ
الْإِسْلَامِ، وَالسَّيْرِ إِلَى الْمَلِكِ الْعَلَامِ، وَقَدْ تَيَسَّتْ مَوْلَفَاتُهُ عَلَى الْأَرْبَعِينَ كِتَابًا، مَا بَيْنَ
كَبِيرٍ فِي مَجَلَّدَاتٍ، وَصَغِيرٍ فِي وَرَقَاتٍ.

وَمِنْ أَهَمِّهَا:

1 - تَيْسِيرُ الْكَرِيمِ الرَّحْمَنِ فِي تَفْسِيرِ كَلَامِ الْمَثَانِ، أَشْهُرُ كُتُبِ الشَّيْخِ، وَقَدْ
كُتِبَ قَبْلَ بُلُوغِهِ الْأَرْبَعِينَ، وَيَقَعُ فِي (8) مَجَلَّدَاتٍ، وَطُبِعَ مُؤَخَّرًا فِي مَجَلَّدٍ وَاحِدٍ،
بِتَحْقِيقِ الدُّكْتُورِ: عَبْدِ الرَّحْمَنِ اللَّوَيْحِيِّ.

1 رواه أحمد في المسند (27496)، والترمذي (2003) وقال: حديث غريب من هذا الوجه، والبخاري في «الأدب المفرد» (270)، عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: [ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق] وصححه الألباني كما الصحيحة برقم (876) وصحيح الأدب المفرد.

- 2 - القواعد الحسانُ لتفسير القرآن¹.
- 3 - تيسيرُ اللّطيفِ المئان في خلاصة تفسير القرآن.
- 4 - بهجة قلوب الأبرارِ وقُرّة عُيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، وهو في الحديث.
- 5 - القولُ السّديدُ في مقاصدِ التّوحيد.
- 6 - سؤالٌ وجوابٌ في أهمّ المهمّات.
- 7 - التّوضيحُ والبيانُ لشجرة الإيمان.
- 8 - الدُّرّة البهيّة شرح القصيدة الثّائبة في حلّ المشكلة القدرية.
- 9 - الحقُّ الواضحُ المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشّافية. وهذه الخمسة كلّها في العقيدة.
- 10 - منهج السّالّكين وتوضيحُ الفقه في الدّين.
- 11 - المختاراتُ الجليّة في المسائلِ الفقهية.
- 12 - الإرشادُ إلى معرفة الأحكام.
- 13 - المناظراتُ الفقهية.
- 14 - نورُ البصائرِ والألبابِ في أحكام العباداتِ والمعاملاتِ والحقوقِ والآداب.
- وهذه كلّها في الفقه.

1 وهو ضمن مشروعِي في سلسلة تقريب المتون العلمية؛ متون "أصول التفسير وقواعده".

15 - القواعدُ والأصولُ الجامعةُ، والفروقُ والتّقاسيمُ البديعةُ النَّافعةُ¹.

16 - رسالةٌ لطيفةٌ جامعةٌ في أصولِ الفقهِ المِهْمّةُ².

17 - تحفةُ أهلِ الطَّلَبِ في تجريدِ قواعدِ ابنِ رَجَبٍ.

وهذه في أصولِ الفقهِ وقواعدهِ.

18 - الرِّياضُ النَّاضرةُ والحدائقُ الزَّاهرةُ في العقائدِ والفنونِ المتنوّعةِ الفَاخرةِ.

19 - الحُطْبُ المنبريّةُ.

20 - الوسائلُ المفيدةُ للحياةِ السَّعيدةِ، وهي المقصودةُ بالاعتناءِ في هذا

الكتابِ.

وهذه كلّها في مَحاسِنِ الإسلامِ وقضايا المسلمين.

21 - الفتاوى السَّعدية (وقد جُمِعت بعد وفاته).

22 - طريقُ الوصولِ إلى العلمِ المأمولِ بمعرفةِ القواعدِ والضوابطِ والأصولِ،

ضمَّنه (1015) فائدة وقاعدة وضابطاً من كلامِ شيخ الإسلامِ وتلميذه ابنِ القَيِّمِ.

23 - التَّعليقُ وكشفُ التَّقابِ على نظمِ قواعدِ الإعرابِ.

24 . منظومةٌ في السَّيرِ إلى اللهِ والدَّارِ الآخرةِ، وله تعليقٌ لطيفٌ عليها.

وكانت للشيخِ عنايةٌ بالنَّظمِ والشَّعرِ، وبعضُ ما سبق من كتبه منظوماتٌ، وقد تَيَّفت منظومته في الفقهِ على (400) بيت، وقد نظمها في مقتبلِ عُمُرِهِ، وله منظومة

1 وهي ضمن مشروعِي في سلسلة تقريب المتون العلمية؛ متون " القواعد الفقهية ".

2 وهي ضمن مشروعِي في سلسلة تقريب المتون العلمية؛ متون " أصول الفقه ".

في القواعد الفقهية في (47) بيتاً، نظمها وهو لم يتجاوز الرابعة والعشرين من العمر، وله أشعار جميلة، ومراث مؤثرة، وأبيات طريفة.

وقد طبعت كتب الشيخ مجموعة في (16) مجلداً، تولى جمعها وطبعها: مركز ابن صالح في الجمعية الصالحية بعُنية.

وطبعت مؤخراً عن مؤسسة العُنود الخيرية طبعة فاخرة في (26) مجلداً مع إضافة مؤلفات أخرى للشيخ باعتناء ثلة من أهل العلم الأفاضل..، ويا لهف قلبي لتحصيلها فإن لي بها حاجة عسى الله أن يبلغني إيّاها.

● وفاته:

أصيب الشيخ في آخر حياته بمرض ضغط الدم، فكان لابدّ لإعلاجه من السفر خارج البلاد، وقد أرسلت الدولة السعودية طائرة خاصة نقلته إلى بيروت، فعولج بها، وبقي هناك قرابة الشهرين حتى شفاه الله، وذلك عام (1372)، ثم عاد إلى عُنية، وأعاد جميع أعماله التي كان يزاولها، رغم نهى الأطباء له عن الإجهاد، ممّا كان له أثر على معاودة الضغط.

وفي ليلة الأربعاء 1376/6/22 بعد أن صلى العشاء في الجامع الكبير في عُنية، وبعد أن أتمى الدرس المعتاد على جماعة المسجد أحسّ بثقلٍ وضعف حركة، فأشار إلى أحد تلاميذه بأن يمسك بيده ويذهب به إلى بيته، ففعل لكنّه أغغمي عليه فور وصوله البيت، ثم أفاق وطمأن الحاضرين على صحته، ثم عاد إليه الإغماء فلم يتكلم بعدها حتى مات، وفي الصباح دعوا له الطبيب، فقرّر أنّ نزيفاً في المخ قد حصل له، فأبرقوا لولي العهد، فأصدر أمراً بإسعافه بالطائرة، لكن حال دون نزولها السحاب الكثيف والمطر الغزير، وعادت مرة أخرى صبيحة الخميس لعلّها تتمكن من الهبوط، لكنّها تلقت نبأ وفاته وهي في الجوّ فعدت أدراجها.

وكانت وفاته قبيل فجر الخميس 1376/6/23، عن (69) عاماً قضاها في العلم والتعليم والدعوة والتأليف والتوجيه والإرشاد.

وقد صُلِّي عليه بعد ظهر ذلك اليوم صلاةً لم تشهد عُزِزَةً لها مثيلاً من قبل، رحمه الله رحمةً واسعةً، وأسكنه الفردوس الأعلى من جنّاته.

وقد رُثي مرّاتٍ كثيرة، وتركت وفاته فراغاً هائلاً في نفوس أهل بلده وفي نفوس المسلمين، وعرف النَّاسُ بموته كم هي الأعمال التي كان يقومُ بها، والأعباء التي كان يتحمّلها، وصدقات السرِّ التي كان يتعاهدُ بها فقراء بلده، فليله درّه ما أعظم أثره على النَّاسِ، وما أحسن خبره فيهم.

ما مات من نشرِ الفضيلة والثّقي وأقام صرحاً أشه لا يُكسر¹

¹ هذه الترجمة ملّخصة من ترجمة الدكتور عبد الله الطيار التي دبّج بها كتابه: «فقه الشيخ السّعدي»، ومن مقدّمة الشيخ محمد بن سليمان البسام لكتاب «التعليق وكشف النقاب»، مع زيادات أخرى، وللاستزادة ينظر في ترجمته: «علماء نجد» (422/2)، و«روضة التّائرين» (220/1)، وكتاب: «سيرة العلامة السّعدي»، ومقالاً للعدوي في مجلة الجامعة الإسلامية، السنة الحادية عشرة، العدد الرابع (ص 205)، و«مشاهير علماء نجد» (ص 396)، ودراسات مفصلة عن السّعدي، مقالات للدكتور عبد الله بن محمد الرّميان في جريدة الجزيرة، أعداد شهر شوال 1421، ومقدمات مؤلفات الشيخ، ففيها تراجم مختلفة من طُلّابِه ومُحبّيه.

التَّعْرِيفُ بِالمُؤَلِّفِ

✓ بيان اسمه ومعناه:

○ الوسائل:

هِيَ الطَّرُقُ وَالسُّبُلُ الْمُوصِلَةُ إِلَى الْمَقْصُودِ، وَهِيَ هُنَا؛ تَحْقِيقُ السَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

○ المفيدة:

أَيُّ الَّتِي تُعْطِي فَائِدَةً نَافِعَةً.
فَالْمَقْصُودُ مِنَ الْوَسَائِلِ هُوَ؛ الْمَفِيدُ مِنْهَا فَحَسَبَ، وَهَذَا قَيْدٌ يَخْرُجُ بِهِ؛ الْوَسَائِلُ الضَّارَّةُ
وَالَّتِي لَيْسَتْ بِضَارَّةٍ لَكِنَّهَا لَا تُوصِلُ إِلَى الْمَطْلُوبِ وَالْمَرْغُوبِ وَلَا تَدْفَعُ الْمَرْهُوبَ فَهَذِهِ
كُلُّهَا لَيْسَتْ بِنَافِعَةٍ.

○ للحياة:

وَالْمَعْنَى؛ الْوَسَائِلُ الْمَفِيدَةُ لِتَحْصِيلِ أَسْبَابِ الْحَيَاةِ السَّعِيدَةِ.
الْحَيَاةُ؛

لُغَةً: ضِدُّ الْمَوْتِ وَالْحَيُّ ضِدُّ الْمَيِّتِ، وَالْحَيُّ مُضْطَرِبٌ مُتَحَرِّكٌ وَالْمَيِّتُ سَاكِنٌ
غَيْرُ مُتَحَرِّكٍ، وَالْحَيُّ كُلُّ مُتَكَلِّمٍ نَاطِقٍ، وَالْحَيُّ مِنَ النَّبَاتِ مَا كَانَ طَرِيًّا يَهْتَزُّ.

اصطلاحاً: لها اعتباران؛

1_ **الحياة الحسيّة**؛ فهو اتصال وارتباط للروح بالبدن في عالم الدنيا وعالم الآخرة على هيئة وصفة قدرها الله تعالى وخلقها.
أمّا في عالم الدنيا؛

قال سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سُورَةُ النَّحْلِ، الآية: 97]،
فالمقصود بالحياة هنا حياة الدنيا.
أمّا في عالم الآخرة؛

قال سبحانه: ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [سُورَةُ الْفَجْرِ، الآية: 24]، أمّا
المقصود بالحياة هنا فهي حياة الآخرة.

2_ **الحياة المعنويّة**؛ فهي حركة في القلب والجوارح بالإيمان والعمل الصالح.
قال تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَخْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سُورَةُ الْأَنْعَامِ، الآية: 122].

وقال تعالى: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [سُورَةُ النَّحْلِ، الآية: 21].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [سُورَةُ فَاطِرٍ، الآية: 22].

وقال سبحانه: ﴿لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [سُورَةُ يَس، الآية: 70].

والحياة باعتبار العالم الذي تكون فيه حياتان؛

1- حَيَاة الدُّنْيَا؛

وهي اتِّصَالٌ وارتباطٌ لِلرُّوحِ بِالْبَدَنِ فِي عَالَمِ الدُّنْيَا عَلَى صِفَةٍ وَهَيْئَةٍ خَاصَّةٍ قَدَّرَهَا اللَّهُ تَعَالَى وَخَلَقَهَا، فَمَنْ حَقَّقَ السَّعَادَةَ الْحَقِيقَةَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ، رَزَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى السَّعَادَةَ الْأَبَدِيَّةَ النَّامَّةَ فِي جَنَّتِهِ وَدَارِ رِضْوَانِهِ. وَهَذَا الَّذِي قَصَدَ الشَّيْخُ يَبَانَهُ وَتَوْضِيحَهُ وَتَقْرِيرَهُ، مَعَ تَقْدِيرِ أَنْ تَحْقِيقَ السَّعَادَةَ فِي الدُّنْيَا بِاتِّبَاعِ طَرِيقِ الْإِسْلَامِ، سَبِيلٌ إِلَى السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ فِي دَارِ السَّلَامِ.

2- وَحَيَاةِ الْآخِرَةِ؛

وهي اتِّصَالٌ وارتباطٌ لِلرُّوحِ بِالْبَدَنِ فِي عَالَمِ الْآخِرَةِ عَلَى صِفَةٍ وَهَيْئَةٍ خَاصَّةٍ قَدَّرَهَا اللَّهُ تَعَالَى وَخَلَقَهَا - أَكْمَلُ مِنْ ارْتِبَاطِهَا فِي حَالِ الدُّنْيَا - .
قال سبحانه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ، الآية: 169] .
وسَمَّاها اللَّهُ تَعَالَى بـ " الْحَيَوَان " مُبَالِغَةً فِي بَيَانِ أَنَّهَا الْحَيَاةُ النَّامَّةُ الْكَامِلَةُ مِنْ كُلِّ الْوُجُوهِ، الدَّائِمَةُ الَّتِي لَا تَزُولُ - بَعْدَ الْعَدَمِ - .
وقال سبحانه: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ، الآية: 64] .
و " الْحَيَوَان " أَبْلَغُ مِنْ " الْحَيَاةِ " لِمَا فِي بِنَاءِ " فَعْلَان " مِنْ الْحَرَكَةِ وَالِاضْطِرَابِ اللَّازِمِ لِلْحَيَاةِ، وَالْحَيَوَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَالْحَيَاةُ فِي الدُّنْيَا¹ .
وقال تَعَالَى: ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [سُورَةُ الْفَجْرِ، الآية: 24] .
وهي الْحَيَاةُ الْعَظِيمَةُ النَّامَّةُ الْكَامِلَةُ الَّتِي؛ يَنْشُدُ الْمُسْلِمُ فِيهَا تَحْقِيقَ السَّعَادَةِ الْعُظْمَى وَالرَّاحَةَ الْقُصْوَى.

1 المفردات للراغب الأصفهاني 268، الكليات للكفوي (265/2).

○ السَّعِيدَةُ:

السَّعَادَةُ مُشْتَقَّةٌ مِنْ " سَعَدَ " السَّيْنُ وَالْعَيْنُ وَالذَّالُ: أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى خَيْرٍ وَسُرُورٍ خِلَافَ النَّحْسِ فَالسَّعْدُ الْيُمْنُ فِي الْأَمْرِ¹.

فَالسَّعِيدُ هُوَ: الَّذِي نَالَ الْخَيْرَ؛ مِنْ دَفْعِ الْمَرْهُوبِ وَحُصُولِ الْمَرْغُوبِ. وَالسَّعَادَةُ خِلَافُ الشَّقَاوَةِ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [سُورَةُ هُودٍ، الْآيَةُ: 105].

وَقَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْذُودٌ﴾ [سُورَةُ هُودٍ، الْآيَةُ: 108].
وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ [سُورَةُ هُودٍ، الْآيَةُ: 106]².

فَأَهْلُ السَّعَادَةِ الْحَقِيقِيَّةِ النَّامَةِ الْكَامِلَةِ الدَّائِمَةِ الَّتِي نَالَ أَصْحَابُهَا الْخَيْرَ كُلَّهُ - بَعْدَ الْعَدَمِ - هُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ.

وَعَلَيْهِ فَبِمَقْدَارِ تَحْقِيقِ الْعَبْدِ فِي الدُّنْيَا لِمَقَامَاتٍ وَأَعْمَالٍ أَهْلِ الْجَنَّةِ، الَّتِي يَهَيَّأُ وَصَلُوا إِلَى الْجَنَّةِ بَعْدَ رَحْمَةِ اللَّهِ لَهُمْ وَتَوْفِيقِهِ إِيَّاهُمْ، بِذَلِكَ تَتَحَقَّقُ سَعَادَتُهُ الدُّنْيَوِيَّةُ؛ الْحَسَنِيَّةُ وَالْمَعْنَوِيَّةُ.

وَهَذَا مُرَادُ شَيْخِ الْإِسْلَامِ مِنْ قَوْلِهِ: " فِي الدُّنْيَا جَنَّةٌ مَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا لَمْ يَدْخُلْ جَنَّةَ الْآخِرَةِ ".

وَهُوَ مُرَادُ قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدَهَمَ: " لَوْ يَعْلَمُ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ مَا نَحْنُ فِيهِ مِنَ النِّعَمِ وَالسُّرُورِ لَجَالَدُونَا عَلَيْهِ بِالسُّيُوفِ ".

1 معجم مقاييس اللغة لابن فارس (75/1).

2 فائدة: قُدِّمَ الشَّقِيُّ عَلَى السَّعِيدِ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ لِأَنَّ الْمَقَامَ مُقَامُ إِذْذَارٍ وَوَعِيدٍ وَتَحْذِيرٍ.

وَقَوْلِ الْآخِرِ؛

إِنَّهُ لَتَمُتْ بِي أَوْقَاتٌ أَقُولُ؛ إِنْ كَانَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي مِثْلِ هَذَا إِنَّهُمْ لَفِي عَيْشٍ طَيِّبٍ.
فَهَذَا حَالُ أَهْلِ السَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا، وَمَعَ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ السَّعَادَةِ وَالطَّمَأِينَةِ
وَالْعَيْشِ الْهَنِيِّ إِلَّا أَنَّ نِسْبَةَ ذَلِكَ إِلَى حَالِهِمْ فِي دَارِ النَّعِيمِ كَنِسْبَةِ صَاحِبِ الْغَمِّ
الْعَظِيمِ وَالْهَمِّ الدَّائِمِ الْمُقِيمِ إِلَى صَاحِبِ النَّعِيمِ الْعَظِيمِ وَالسَّعَادَةِ الدَّائِمَةِ.
كَمَا فِي الْحَدِيثِ: "الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ"¹.

وَالْحَدِيثُ الْآخَرُ: "إِذَا حَضَرَ الْمُؤْمِنُ أَتَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ بِحَرِيرَةٍ بَيْضَاءَ...فَيَأْتُونَ بِهِ
أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَهُمْ أَشَدُّ فَرَحًا بِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِغَايِبِهِ يَقْدُمُ عَلَيْهِمْ، فَيَسْأَلُونَهُ مَاذَا فَعَلَ
فُلَانٌ مَاذَا فَعَلَ فُلَانٌ، فَيَقُولُونَ؛ دَعُوهُ فَإِنَّهُ كَانَ فِي غَمِّ الدُّنْيَا..²

أ/- مِنْ نَعِيمِ أَهْلِ الْجَنَّةِ النَّفْسِيِّ الْمَعْنَوِيِّ:

1- تَزْعُ مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ نِعْمَةً مِنَ اللَّهِ وَمِنَّةً؛

قوله تعالى: ﴿وَتَزْعُنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي﴾ [سُورَةُ الْأَعْرَافِ ، الآية:

43]. وقوله تعالى: ﴿وَتَزْعُنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾

[سُورَةُ الْحَجَرِ، الآية: 47].

2- إِذْهَابُ الْحُوفِ وَ الْحُزَنِ عَنْهُمْ إِلَى الْأَبَدِ مَعَ الْبُشْرَى لَهُمْ بِمَا يَسُرُّ وَيَفْرَحُ؛

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾

[سُورَةُ فَاطِرٍ، الآية: 34].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا

وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [سُورَةُ فُصِّلَتْ، الآية: 30].

3- يُلْهَمُونَ التَّسْيِيحَ وَالْحَمْدَ وَالتَّكْبِيرَ لِمَحْبُوبِهِمْ؛

1 رواه مسلم (2956).

2 رواه النسائي (1833)، وهو في السلسلة الصحيحة (1309).

فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "يَأْكُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ وَلَا يَبُولُونَ، وَلَكِنْ طَعَامُهُمْ ذَاكَ جُشَاءٌ كَرَشَحِ الْمِسْكِ. يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالْحَمْدَ، كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفْسَ".
"وَيُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّكْبِيرَ، كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفْسَ"¹.

ب/ - مِنْ نَعِيمِ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْبَدَنِيِّ الْمَادِّي:

1- الْأَزْوَاجُ وَالظَّلَالُ وَالْأَرَائِكُ الَّتِي يُتَكَبَّرُونَ عَلَيْهَا؛

قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكَبِّرُونَ ﴾ [سُورَةُ يَس، الآية: 55-56].

2- خُرُوجُ الْمَأْكَلِ وَالْمَشْرَبِ مِنْ أَبْدَانِهِمْ بِأَطْيَبِ الرِّوَائِحِ؛

فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "يَأْكُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ وَلَا يَبُولُونَ، وَلَكِنْ طَعَامُهُمْ ذَاكَ جُشَاءٌ كَرَشَحِ الْمِسْكِ"².

3- النِّعَمُ الدَّائِمَةُ وَالثِّيَابُ الْجَدِيدَةُ الدَّائِمَةُ وَالشَّبَابُ الْأَبَدِيُّ؛

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ يَنَعَمُ لَا يَبْأُسُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ"³.

4- الْعَافِيَةُ الدَّائِمَةُ وَالْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ؛

1 رواه مسلم (2835).

2 الحديث السابق.

3 رواه مسلم (2836).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:
 عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " يُنَادِي مُنَادٍ:
 إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصْحُوا فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا.
 وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيُوا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا.
 وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشَبُّوا فَلَا تَهْرُمُوا أَبَدًا.
 وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْتَاسُوا أَبَدًا " فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ
 أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [7 / الأعراف / 43].¹

5- البيوت الواسعة الجميلة، المملوءة بالأزواج؛

وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِيهِ؛
 أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " فِي الْجَنَّةِ خِيَمَةٌ مِنْ لَوْلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ.
 عَرْضُهَا سِتُّونَ مِيلًا، فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ، مَا يَرَوْنَ الْآخَرِينَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ
 الْمُؤْمِنُ " ².

6- الخلود في دار النعيم؛

قال تعالى: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ [سُورَةُ
 الدَّخَانِ، الآية: 56].

وقال سبحانه: ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ
 بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾
 [سُورَةُ الْحَدِيدِ، الآية: 12].

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:
 قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

1 رواه مسلم (2837).

2 رواه مسلم (2838).

يُوتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ فَيُنَادِي مُنَادٍ؛ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ.
فَيَقُولُ؛ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا.

فَيَقُولُونَ؛ نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَأَاهُ.
ثُمَّ يُنَادِي يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ.
فَيَقُولُ؛ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا.

فَيَقُولُونَ؛ نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَأَاهُ.
فَيَذْبَحُ، ثُمَّ يَقُولُ؛ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، ثُمَّ
قَرَأَ { وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ { وَهَؤُلَاءِ فِي غَفْلَةٍ أَهْلُ الدُّنْيَا
{ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ }¹.

وَأَهْلُ الشَّقَاوَةِ الْحَقِيقَةِ التَّامَّةِ الْكَامِلَةِ الدَّائِمَةِ - بَعْدَ الْعَدَمِ - هُمْ أَهْلُ النَّارِ
وَبِمِقْدَارِ تَحْقِيقِ الْعَبْدِ فِي الدُّنْيَا لِصِفَاتٍ وَأَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ الَّتِي بِهَا وَصَلُوا إِلَيْهَا تَتَحَقَّقُ
شَقَاوَتُهُ الدُّنْيَوِيَّةُ؛ الْحِسِّيَّةُ وَالْمَعْنَوِيَّةُ.²

وَهَذِهِ الشَّقَاوَةُ تَامَّةٌ مَهْمَا تَحَقَّقَ لَهُمْ مِنْ تَوْهُمِ السَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا بِ؛
مَا ذَكَرَهُ سُبْحَانَهُ: ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ
الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَاَبِ ﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ، آيَةُ: 14].
فَحُبُّ النَّاسِ لِهَذِهِ الْمَحْبُوبَاتِ يُحَقِّقُ لَهُمْ شَطْرًا مِنَ السَّعَادَةِ إِذَا تَقَيَّدُوا فِي مَحَبَّتِهَا
وَاسْتِخْدَامِهَا بِأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ الْعَرَاءِ.

1 رواه البخاري (4730).

2 وينبغي أن يُعلم أنَّهم في ذلك على صنفين:

1- أَهْلُ شَقَاوَةٍ مُؤَقَّتَةٍ؛ وَهُمْ الْعَصَاةُ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ الَّذِينَ ارْتَكَبُوا الْمَعَاصِيَ، وَاسْتَحَقُّوا عَلَيْهَا الْعُقُوبَةَ فِي
النَّارِ فَيَعَايُونَ بِمِقْدَارِ تَطْهِيرِهِمْ مِنْ خَبْثِهِمْ، ثُمَّ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ.

2- وَأَهْلُ شَقَاوَةٍ دَائِمَةٍ؛ وَهُمْ الْكُفَّارُ وَالْمُشْرِكُونَ، فَهَؤُلَاءِ مَآكِنُونَ فِي جَهَنَّمَ إِلَى الْأَبَدِ، فَهِيَ دَارُهُمُ الَّتِي أَعَدَّتْ لَهُمْ.

أَمَّا إِذَا لَمْ يَتَّقُوا فِي مَحَبَّتِهَا بِالشَّرْعِ بَلْ غَلَوْا فِي ذَلِكَ، وَاسْتَخْدَمُوهَا وَفَقَّ أَهْوَاءَهُمْ
وَنَزَوَاتِهِمْ كَانَتْ هُمًّا وَغَمًّا وَحَزَنًا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ وَإِنْ زَعَمُوا خِلَافَ ذَلِكَ.

حَدِيثٌ جَلِيلٌ:

رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛

"يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ النَّارِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ.
فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً.

ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ! هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟
فَيَقُولُ: لَا، وَاللَّهِ! يَا رَبِّ!

وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ.

فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ! هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟

فَيَقُولُ: لَا، وَاللَّهِ! يَا رَبِّ! مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ. وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ".¹

فَهَذَا الْحَدِيثُ الْجَلِيلُ لَدَلِيلٌ قَاطِعٌ وَبُرْهَانٌ سَاطِعٌ عَلَى؛ أَنَّهُ لَا نِسْبَةَ وَلَا مُقَارَنَةَ
بَيْنَ سَعَادَةِ الدُّنْيَا الْمَادِّيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ الْمُتَوَهَّمَةِ، وَسَعَادَةِ الْآخِرَةِ الْحَقِيقِيَّةِ، فَالنِّسْبَةُ بَيْنَهُمَا
كَنِسْبَةِ الْوَهْمِ إِلَى الْحَقِيقَةِ.

فَبِمِقْدَارِ وُصُولِ الْعَبْدِ إِلَى السَّعَادَةِ الَّتِي ارْتَضَاهَا اللَّهُ لِعِبَادِهِ فِي الدُّنْيَا وَهِيَ الْقَائِمَةُ
عَلَى؛ مَعْرِفَةِ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَمَحَبَّتِهِ وَرَجَائِهِ وَالرَّهْبَةِ مِنْهُ...مِمَّا فِيهِ إِحْسَانٌ فِي عِبَادَةِ
الْخَالِقِ، وَمَا يَتَّبِعُ ذَلِكَ مِنَ الْإِحْسَانِ لِلْخَلْقِ؛
إِلَى نَفْسِهِ.

ثُمَّ إِلَى الْخَلْقِ مِنْ بَنِي آدَمَ.

ثُمَّ إِلَى الْخَلْقِ مِنَ الْبَهَائِمِ وَالْدَّوَابِّ وَالْجَمَادَاتِ، تَتَحَقَّقُ سَعَادَتُهُ الْحَقِيقَةُ الْكَامِلَةُ فِي
جَنَّاتِ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ.

فَمَعْنَى عُنْوَانِ الرِّسَالَةِ: "الْوَسَائِلُ الْمُفِيدَةُ لِتَحْصِيلِ أَسْبَابِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَوِيَّةِ السَّعِيدَةِ
الَّتِي هِيَ سَبِيلٌ إِلَى الْحَيَاةِ الْحَقِيقَةِ وَالنَّعِيمِ الدَّائِمِ الْمُقِيمِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ".

✓ سَبَبُ تَأْلِيفِ الْكِتَابِ: هُوَ؛

أَنَّ الشَّيْخَ لَمَّا كَانَ فِي سَفَرٍ إِلَى لُبْنَانَ لِلْعِلَاجِ أَحْضَرَ لَهُ ابْنُهُ مُحَمَّدٌ كِتَابَ " دَع
الْقَلْقَ وَابْدَأْ الْحَيَاةَ "؛ لِلْمُؤَلِّفِ الْأَمْرِيكِيِّ " دِيلِ كَارْنِيْجِي " تَنَاوَلَ فِيهِ؛ بَعْضَ أَسْبَابِ
الْقَلْقِ وَعِلَاجِهَا بِحَسَبِ الْمَفْهُومِ الْغَرْبِيِّ الْقَاصِرِ.

فَرَأَى الشَّيْخُ أَنَّ فِي الْإِسْلَامِ مِنَ الْقَوَاعِدِ وَالتَّوْجِيهَاتِ وَالتَّنْبِيهَاتِ الْمَنْصُوصِ عَلَيْهَا
فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ تَارَةً أَوْ الْمُسْتَنْبَطَةِ مِنْ قِبَلِ أَهْلِ الْعِلْمِ الْفُحُولِ تَارَةً أُخْرَى،
مَا يَكْفِلُ تَحْقِيقَ السَّعَادَةِ لِلْإِنْسَانِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

فَكَأَنَّ الشَّيْخَ يَقُولُ بِلِسَانِ الْحَالِ؛ أَيُّهَا النَّاسُ، يَا مَعَاشِرَ أُمَّمِ الْعَالَمِ، وَيَا جِنْسَ
الْبَشَرِيَّةِ عَلَيْكُمْ أَنْ تَعْلَمُوا: بَأَنَّنا مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ أَهْلُ السَّعَادَةِ الْحَقِيقَةِ، وَنَحْنُ أَوْلَى
بِهَا وَأَهْلُهَا، وَنَحْنُ أَعْرَفُ بِهَا وَبِأَسْبَابِهَا وَوَسَائِلِ تَحْقِيقِهَا مِنْ أَيِّ أُمَّةٍ أَوْ قَوْمٍ أَوْ مِلَّةٍ أَوْ
طَرِيقَةٍ أَوْ فِكْرٍ... ذَلِكَ أَنَّ مَصْدَرَ عِلْمِنَا بِهَا وَتَحْقِيقِنَا لَهَا هُوَ رَبُّنَا وَخَالِقُنَا وَإِلَهُنَا الَّذِي
هُوَ أَعْرَفُ بِأَحْوَالِنَا الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ الْمَادِّيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ ﴿ لَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ
اللطيفُ الخبيرُ ﴾ [سُورَةُ الْمُلْكِ، آيَةُ: 14].

✓ من ثناء أهل العلم على الكتاب:

■ قَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَارِ اللَّهِ الْجَارِ اللَّهُ:
هَذَا الْكِتَابُ الْقِيَمُ.. يُعْتَبَرُ مُسْتَشْفَى لِلْأَمْرَاضِ النَّفْسِيَّةِ عَلَى ضَوْءِ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ
رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.¹

■ وَقَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ الْبَدْرِي:
هِيَ عَلَى صِغَرِ حَجْمِهَا عَظِيمٌ نَفْعُهَا، وَالْحَاجَةُ مَاسَّةٌ إِلَيْهَا لِكُلِّ إِنْسَانٍ، لَاسِيَمَا فِي هَذِهِ
الْأَزْمَانِ الَّتِي كَثُرَتْ فِيهَا الْفِتَنُ وَعَظُمَتْ فِيهَا الْمِحَنُ.²

■ وَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو مُصْعَبٍ مَجْدِي حَقَّالَةً فِي شَرْحِهِ:
هَذِهِ الرِّسَالَةُ عَلَى وَجَازَتِهَا هِيَ رِسَالَةٌ نَافِعَةٌ.

✓ من معالِم منهج ابن سعدي في كتابه:

أَقُولُ عَلَى وَجْهِ الْعَجَلَةِ وَطَلَبِ الْإِخْتِصَارِ فِي تَقْرِيبِ مَنْهَجِ الشَّيْخِ؛

■ مِمَّا أَفْصَحَ عَنْهُ الشَّيْخُ فِي مُقَدِّمَةِ رِسَالَتِهِ:

أ/- أَمَّا مِنْ حَيْثُ مَوْضُوعُ الرِّسَالَةِ:

فَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

" سَأَذْكُرُ.. مِنْ الْأَسْبَابِ لِهَذَا الْمَطْلَبِ الْأَعْلَى، الَّذِي يَسْعَى لَهُ كُلُّ أَحَدٍ"¹.

1 في خاتمة اعتناؤه بالكتاب وطبعه.

2 من مقدمة الشيخ عبد الرزاق البدر لتحقيقه للكتاب صفحة 6.

فَذَكَرَ مُصَرِّحاً رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ مَوْضُوعَ الرِّسَالَةِ هُوَ فِي: بَيَانِ بَعْضِ الْأَسْبَابِ
الْمُوصِلَةِ إِلَى السَّعَادَةِ الْحَقِيقِيَّةِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.
وظَاهِرٌ صَنِيعِ الشَّيْخِ أَنَّهُ أَلَفَ الرِّسَالَةَ لِلنَّاسِ جَمِيعاً مُؤْمِنِهِمْ وَكَافِرِهِمْ، بِدَلِيلِ
إِدْرَاجِهِ؛

– الْمُقَارَنَةُ بَيْنَ الْكَافِرِ وَالْمُسْلِمِ فِي تَحْقِيقِ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ، تَرْغِيباً لِلْكَافِرِ
فِي تَحْصِيلِ مَزِيدٍ مِنْهَا بِدُخُولِهِ رِيَاضَ الْإِسْلَامِ.
– وَإِدْرَاجِهِ الْأَسْبَابَ الطَّبِيعِيَّةَ وَالْعَمَلِيَّةَ كَمَا سَمَّاها الشَّيْخُ حَتَّى يُبَيِّنَ
الْفَرْقَ الْعَظِيمَ بَيْنَ الْأَسْبَابِ الشَّرْعِيَّةِ وَغَيْرِهَا، وَأَنَّ حَظَّهَا فِي تَحْقِيقِ السَّعَادَةِ
هُوَ الْحَظُّ الْأَعْظَمُ وَالنَّصِيبُ الْأَوْفَرُ.

ب/ – وَأَمَّا مِنْ حَيْثُ مَنَهْجِيَّةُ التَّأْلِيفِ:

فَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:
" سَأَذْكَرُ بِرِسَالَتِي هَذِهِ مَا يَحْضُرُنِي مِنَ الْأَسْبَابِ لِهَذَا الْمَطْلَبِ الْأَعْلَى، الَّذِي
يَسْعَى لَهُ كُلُّ أَحَدٍ "
فَذَكَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ مِنْ مَنَهْجِيَّتِهِ فِي ذِكْرِ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ؛
الِإِقْتِصَارُ عَلَى مَا يَسْتَحْضِرُهُ مِنْ ذَلِكَ حِفْظاً مِنْ ذَاكِرَتِهِ مِمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ
خُصُوصاً وَأَنَّهُ كَانَ حَالِ تَأْلِيفِ الرِّسَالَةِ مُسَافِراً إِلَى لُبْنَانَ لِلتَّدَاوِي بَعِيداً عَنْ
مَكْتَبَتِهِ وَكُتُبِهِ، فَقَدْ كَانَ قَصْدُهُ الْإِشَارَةَ وَالْإِنَارَةَ دُونَ جَمْعِ مَا فِي الْبَابِ مِنَ
الْأَسْبَابِ بِاسْتِيعَابٍ.

1 وذاك المطلوب هو ما أوضحه في مقدمة الرسالة: " فَإِنَّ رَاحَةَ الْقَلْبِ، وَطَمَأنِينَتَهُ وَسُرُورَهُ وَزَوَالَ هُمُومِهِ وَغَمُومِهِ، هُوَ الْمَطْلَبُ لِكُلِّ أَحَدٍ، وَبِهِ تَحْصُلُ الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ، وَيَتِمُّ السُّرُورُ وَالِإِبْتِهَاجُ ".

وَمِمَّا لَمْ يَذْكُرْهُ صَرَاحَةً بَلْ إِشَارَةً وَيُمْكِنُ اسْتِخْلَاصُهُ بِالتَّأَمُّلِ فِي
الْكِتَابِ:

[1] أَنَّهُ ذَكَرَ فِي رِسَالَتِهِ: الْأَسْبَابَ الدِّيْنِيَّةَ، وَالْأَسْبَابَ الطَّبِيعِيَّةَ، وَالْأَسْبَابَ
الْعَمَلِيَّةَ، وَإِنْ لَمْ يَعْتَنِ بِبَيَانِ ذَلِكَ فِي طَيَّاتِ رِسَالَتِهِ النَّافِعَةِ.
حَيْثُ قَالَ فِي بَيَانِ أَقْسَامِ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ: " وَلِذَلِكَ: 1 - أَسْبَابُ دِيْنِيَّةٍ،
2 - وَأَسْبَابُ طَبِيعِيَّةٍ، 3 - وَأَسْبَابُ عَمَلِيَّةٍ. "

[2] أَنَّهُ اعْتَنَى فِي الْمُقَدِّمَةِ وَفِي طَيَّاتِ كِتَابِهِ بِبَيَانِ التَّمْيِيزِ الْوَاضِحِ بَيْنَ الْمُسْلِمِ
الْمُوحِّدِ، وَالْكَافِرِ الْمُشْرِكِ فِي اجْتِمَاعِ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ وَأَنَّ كَمَالَهَا لَا يَحْصُلُ إِلَّا
لِلْمُسْلِمِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِحَسَبِ إِنْقِيَادِهِ وَطَاعَتِهِ لِرَبِّهِ.

[3] كَمَا أَنَّهُ لَمْ يُغْفِلْ بَيَانَ أَقْسَامِ النَّاسِ بِاعْتِبَارِ سَعَادَتِهِمْ وَشَقَاوَتِهِمْ عَلَى وَجْهِ
الْإِجْمَالِ فَقَالَ:

- 1- فَمِنْهُمْ مَنْ أَصَابَ كَثِيرًا مِنْهَا فَعَاشَ عَيْشَةً هَنِيئَةً، وَحَيَّ حَيَاةً طَيِّبَةً.
- 2- وَمِنْهُمْ مَنْ أَخْفَقَ فِيهَا كُلُّهَا فَعَاشَ عَيْشَةً شَقَاءً، وَحَيَّ حَيَاةً تُعَسَاءُ.
- 3- وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ بَيْنَ بَيْنٍ، بِحَسَبِ مَا وَفَّقَ لَهُ.

[4] الظَّاهِرُ مِنْ صَنِيعِ الْمُؤَلِّفِ أَنَّهُ رَاعَى فِي تَرْتِيبِ الْأَسْبَابِ ذِكْرَ الْأَهَمِّ فَالْمُهَمِّ
بِحَسَبِ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ بِحُثِّهِ وَاجْتِهَادِهِ.

[5] الاعتناء الظاهر بربط ما يذكره من أسباب السعادة بِنُصوص الوحيين مع بيان وجه الدلالة من النص على السبب، وهذه من خصائص وسمات ابن سعدي رحمه الله في التأليف؛ أنه يربط الأحكام بالأدلة إلا إذا دفعت الحاجة إلى ترك ذلك، كمرعاة حال المبتدئين، أو شدة الاختصار...

[6] إيراد أسباب السعادة على شكل قواعد وأصول قابلة للحفظ، إذ لم يكن مقصد الشيخ إيراد كل الأسباب اعتباطاً، مما يحضره حفظاً فحسب، لا هذا ليس من أسلوب الشيخ بل حاول ذكر أصول الأسباب التي يمكن أن تدرج ضمنها أسباب فرعية أخرى، وذلك حتى؛ يتيسر الحفظ ويسهل الفهم فتحصل الفائدة المرجوة من تأليف الرسالة.

[7] اعتناء الشيخ بالتقاسيم النافعة التي تقرب البعيد وتعلم البليد، فهي من الأساليب الراقية في تيسير الأمور المتشعبة المتفرعة للمتعلم، واعتناء الشيخ بهذا الأمر في كتبه لا يحتاج إلى تدليل فيكفي في ذلك كتابه الموسوم بـ: "القواعد والأصول الجامعة، والفروق والتقاسيم البديعة النافعة".

هذا ما يسره الله تعالى في هذه العجالة، وبالتأمل والتدبر يتحصل بتوفيق الله أضعاف ذلك.

✓ طَبَعَاتُ كِتَابِ " الْوَسَائِلُ الْمُفِيدَةُ لِلْحَيَاةِ السَّعِيدَةِ " وَ جُهْدُ
الْعُلَمَاءِ فِي خِدْمَتِهِ:

— طُبِعَ فِي الْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فَرْعُ شُؤْنِ الدَّعْوَةِ بِاعْتِنَاءِ الشَّيْخِ الْفَاضِلِ عَبْدِ
الرَّزَّاقِ الْبَدْرِ، الطَّبَعَةُ الثَّانِيَّةُ سَنَةِ (1409هـ)، فِي 35 صَفْحَةً مُخَرَّجَةً الْأَحَادِيثِ
بِاخْتِصَارٍ مَعَ تَعْلِيقَاتٍ يَسِيرَةٍ.

— طُبِعَ ضِمْنَ الْمَجْمُوعَةِ الْكَامِلَةِ لِمُؤَلَّفَاتِ الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَاصِرٍ السَّعْدِيِّ فِي
الْمَجْلَدِ (479/14 - 495) سَنَةِ (1411هـ)، عَنْ مَرْكَزِ صَالِحِ بْنِ صَالِحِ الثَّقَافِيِّ
بِعُنْيَةِ غَيْرِ مُخَرَّجَةِ الْأَحَادِيثِ وَلَا مُعَلِّقٍ عَلَيْهَا فِي حَوَالِي 16 صَفْحَةً، ثُمَّ طُبِعَ مُؤَخَّرًا
ضِمْنَ " مَجْمُوعِ مُؤَلَّفَاتِ الشَّيْخِ عَبْدِ الْعَلَامَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَاصِرٍ السَّعْدِيِّ " فِي
الْمَجْلَدِ (161/7 - 171)، عَنْ دَارِ الْمَيْمَانِ الطَّبَعَةُ الْأُولَى (1432هـ).

— طُبِعَ بِاعْتِنَاءِ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَارِ اللَّهِ الْجَارِ اللَّهِ، مُخَرَّجَةً الْأَحَادِيثَ
بِاخْتِصَارٍ، عَنْ دَارِ ابْنِ الْجُوزِيِّ سَنَةِ (1421هـ)، فِي 30 صَفْحَةً.

— طُبِعَ فِي وَزَارَةِ الشُّؤْنِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْأَوْقَافِ، بِاعْتِنَاءِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ الزَّيْدِ.

✓ مَنظُومَاتُ كِتَابِ " الْوَسَائِلِ الْمُفِيدَةِ لِلْحَيَاةِ السَّعِيدَةِ " :

حَسَبَ عِلْمِي الْقَاصِرَ لَا أَعْلَمُ لِلْكِتَابِ إِلَّا نَظْمًا وَاحِدًا - إِلَى حِينِ كِتَابَةِ هَذِهِ
الْأَسْطُر - وَهُوَ:
" الْقَصِيدَةُ نَظْمُ الْوَسَائِلِ الْمُفِيدَةِ لِلْحَيَاةِ السَّعِيدَةِ "؛ لِلشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَجَاحٍ آلِ
طَاجِنٍ.

✓ مِنْ شُرُوحَاتِ كِتَابِ " الْوَسَائِلِ الْمُفِيدَةِ لِلْحَيَاةِ السَّعِيدَةِ " :

أ- المَطْبُوعَةُ:

و الَّتِي لَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا:

1/- " خَوَاطِرٌ حَوْلَ الْوَسَائِلِ الْمُفِيدَةِ لِلْحَيَاةِ السَّعِيدَةِ "؛ لِلشَّيْخِ الدُّكْتُورِ عَبْدِ
الْعَزِيزِ بْنِ دَاوُدَ بْنِ سُلَيْمَانَ الْفَايزِ.

2/- " شَرْحُ الْوَسَائِلِ الْمُفِيدَةِ لِلْحَيَاةِ السَّعِيدَةِ "؛ لِلشَّيْخِ الدُّكْتُورِ يَوْسُفَ بْنِ عُثْمَانَ
الْحَزِيمِ، طُبِعَ عَنْ دَارِ السَّلَامِ سَنَةِ (1429) هـ، فِي 138 صَفْحَةً.

ب- المسموعة:

وهي كثيرة و مُتَنَوِّعة؛ مِنْ حَيْثُ الإِخْتِصَارِ وَالطُّولِ، وَمِنْ حَيْثُ مَنَهْجِيَّةِ الشَّرْحِ وَأُسْلُوبِ العَرَضِ، وَمِنْهَا عَلَى سَبِيلِ المِثَالِ لَا الحَصْرِ:

- [1] شرح الشيخ السحيمي في (6) أشرطة.
- [2] شرح الشيخ محمد سعيد رسلان في شريط.
- [3] شرح الشيخ عبد العزيز الراجحي في الحرم المكي.
- [4] شرح الشيخ لزهة سنيقرة الجزائري في (13) شريط.
- [5] شرح الشيخ محمد مزيان الجزائري.

○ تنبيه :

عدد الأشرطة المسجلة قد يتغير بحسب تصرف بعض الإخوة المتخصصين في الصوتيات بتقسيمها باعتبارات معينة فليتنبه.

■ فائدة:

وقد أُلقيَ هذا المتن إلقاءً صوتياً مُسَجَّلاً مِنْ قَبْلِ:

- الأخ أبي أحمد الشَّيْظَمي المغربي.

الْمَتْنُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ الْحَمْدُ كُلُّهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ رَاحَةَ الْقَلْبِ، وَطُمَأْنِينَتَهُ وَسُرُورَهُ وَزَوَالَ هُمُومِهِ وَغُمُومِهِ، هُوَ الْمَطْلَبُ
لِكُلِّ أَحَدٍ، وَبِهِ تَحْصُلُ الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ، وَيَتِمُّ السُّرُورُ وَالِابْتِهَاجُ.
وَلِذَلِكَ:

1 - أَسْبَابُ دِينِيَّةٍ.

2 - أَسْبَابُ طَبِيعِيَّةٍ.

3 - أَسْبَابُ عَمَلِيَّةٍ.

وَلَا يُمَكِّنُ اجْتِمَاعُهَا كُلُّهَا إِلَّا لِلْمُؤْمِنِينَ.

وَأَمَّا مَنْ سِوَاهُمْ، فَإِنَّهَا وَإِنْ حَصَلَتْ لَهُمْ مِنْ وَجْهِ وَسَبَبٍ يُجَاهِدُ عُقْلًا وَهُمْ عَلَيْهِ،
فَاتَهُمْ مِنْ وَجْهِهِ أَنْفَعُ وَأَثْبَتُ وَأَحْسَنُ حَالًا وَمَالًا.

وَلَكِنِّي سَأَذْكُرُ بِرِسَالَتِي هَذِهِ مَا يَحْضُرُنِي مِنَ الْأَسْبَابِ لِهَذَا الْمَطْلَبِ
الْأَعْلَى، الَّذِي يَسْعَى لَهُ كُلُّ أَحَدٍ:

- 1- فَمِنْهُمْ مَنْ أَصَابَ كَثِيرًا مِنْهَا فَعَاشَ عِيشَةً هَنِيئَةً، وَحَيَّ حَيَاةً طَيِّبَةً.
 - 2- وَمِنْهُمْ مَنْ أَخْفَقَ فِيهَا كُلَّهَا فَعَاشَ عِيشَةَ الشَّقَاءِ، وَحَيَّ حَيَاةَ التُّعَسَاءِ.
 - 3- وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ بَيْنَ بَيْنٍ، بِحَسَبِ مَا وَفَّقَ لَهُ.
- وَاللَّهُ الْمُوفِّقُ الْمُسْتَعَانُ بِهِ عَلَى كُلِّ خَيْرٍ، وَعَلَى دَفْعِ كُلِّ شَرٍّ.

فصل

1 - وَأَعْظَمُ الْأَسْبَابِ لِذَلِكَ وَأَصْلُهَا وَأُسْهَا هُوَ: الْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ:
قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّه حَيَاةً
طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾¹، فَأَخْبَرَ تَعَالَى وَوَعَدَ مَنْ جَمَعَ
بَيْنَ:

- الْإِيمَانِ

- وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، بِ؛ - الْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ فِي هَذِهِ الدَّارِ.

- وَبِالْجَزَاءِ الْحَسَنِ فِي هَذِهِ الدَّارِ

وَفِي دَارِ الْقَرَارِ.

وَسَبَبُ ذَلِكَ وَاضِحٌ؛ فَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ الْإِيمَانَ الصَّحِيحَ، الْمُثْمَرِ لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ
الْمُصْلِحِ لِلْقُلُوبِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، مَعَهُمْ أُصُولٌ وَأُسُسٌ يَتَلَقَّوْنَ فِيهَا
جَمِيعَ مَا يَرُدُّ عَلَيْهِمْ مِنْ؛

- أَسْبَابِ السُّرُورِ وَالِابْتِهَاجِ.

- وَأَسْبَابِ الْقَلْقِ وَالْهَمِّ وَالْأَحْزَانِ.

1 [النحل: 97].

أ/ - يَتَلَقُّونَ الْمَحَابَّ وَالْمَسَارَّ: يَقْبُولُ لَهَا، وَشُكْرَ عَلَيْهَا، وَاسْتِعْمَالِ لَهَا
فِيمَا يَنْفَعُ، فَإِذَا اسْتَعْمَلُوهَا عَلَى هَذَا الْوَجْهِ، أَحْدَثَ لَهُمْ مِنَ الْإِيتِهَاجِ بِهَا، وَالطَّمَعِ
فِي بَقَائِهَا وَبَرَكَتِهَا، وَرَجَاءِ ثَوَابِ الشَّاكِرِينَ، أُمُورًا عَظِيمَةً تَفُوقُ بِخَيْرَاتِهَا وَبَرَكَاتِهَا
هَذِهِ الْمَسَرَّاتِ الَّتِي هَذِهِ ثَمَرَاتُهَا.

ب/ - وَيَتَلَقُّونَ الْمَكَارِ وَالْمَضَارَّ وَالْهَمَّ وَالْغَمَّ: بِالْمُقَاوَمَةِ لِمَا يُمَكِّنُهُمْ
مُقَاوَمَتُهُ، وَتَخْفِيفِ مَا يُمَكِّنُهُمْ تَخْفِيفُهُ، وَالصَّبْرِ الْجَمِيلِ لِمَا لَيْسَ لَهُمْ مِنْهُ¹ بُدٌّ،
وَبِذَلِكَ يَحْصُلُ لَهُمْ مِنْ آثَارِ الْمَكَارِ مِنَ الْمُقَاوَمَاتِ النَّافِعَةِ، وَالتَّجَارِبِ وَالْقُوَّةِ،
وَمِنَ الصَّبْرِ وَاحْتِسَابِ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ، أُمُورٌ عَظِيمَةٌ تَضْمَحِلُ مَعَهَا الْمَكَارَةُ،
وَتَحِلُّ مَحَلَّهَا الْمَسَارُّ وَالْأَمَالُ الطَّيِّبَةُ، وَالطَّمَعُ فِي فَضْلِ اللَّهِ وَثَوَابِهِ، كَمَا عَبَّرَ النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ هَذَا فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّهُ قَالَ: "عَجَبًا لِأَمْرِ
الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ
ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ"²، فَأَخْبَرَ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَتَضَاعَفُ غَنَمُهُ وَخَيْرُهُ وَثَمَرَاتُ أَعْمَالِهِ فِي كُلِّ مَا يَطْرُقُهُ
مِنَ السُّرُورِ وَالْمَكَارِهِ.

لِهَذَا تَجِدُ اثْنَيْنِ تَطْرُقُهُمَا نَائِبَةٌ مِنْ نَوَائِبِ الْخَيْرِ أَوْ الشَّرِّ، فَيَتَفَاوَتَانِ تَفَاوُتًا
عَظِيمًا فِي تَلَقِّيَّهَا، وَذَلِكَ بِحَسَبِ تَفَاوُتِهِمَا فِي الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ؛
- هَذَا الْمَوْصُوفُ بِهِذَيْنِ الْوَصْفَيْنِ؛ يَتَلَقَّى الْخَيْرَ وَالشَّرَّ بِمَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ
الشُّكْرِ وَالصَّبْرِ وَمَا يَتَّبِعُهُمَا، فَيَحْدُثُ لَهُ السُّرُورُ وَالْإِيتِهَاجُ، وَزَوَالُ الْهَمِّ وَالْغَمِّ
وَالْقَلْقِ، وَضِيقِ الصَّدْرِ، وَشَقَاءِ الْحَيَاةِ، وَتَمُّ لَهُ الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ فِي هَذِهِ الدَّارِ.

1 في الطبعة التي باعته الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ "عنه".

2 رواه مسلم (2999) عن صهيب رضي الله عنه.

– وَالْآخِرُ؛ يَتَلَقَّى الْمَحَابَّ بِأَشْرٍ وَطُغْيَانٍ، فَتَنَحَرِفُ أَخْلَاقُهُ وَيَتَلَقَّاهَا
كَمَا تَتَلَقَّاهَا الْبَهَائِمُ بِجَشَعٍ وَهَلَعٍ، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ غَيْرُ مُسْتَرِيحٍ الْقَلْبِ، بَلْ مُشْتَتَّةٌ
مِنْ جِهَاتٍ عَدِيدَةٍ؛

مُشْتَتَّةٌ مِنْ جِهَةٍ خَوْفِهِ مِنْ زَوَالِ مَحْبُوبَاتِهِ، وَمِنْ كَثْرَةِ الْمُعَارَضَاتِ النَّاشِئَةِ عَنْهَا
غَالِبًا.

وَمِنْ جِهَةٍ أَنَّ التُّفُوسَ لَا تَقِفُ عِنْدَ حَدٍّ، بَلْ لَا تَزَالُ مُتَشَوِّقَةً¹ لِلْأُمُورِ أُخْرَى،
قَدْ تَحْصُلُ وَقَدْ لَا تَحْصُلُ، وَإِنْ حَصَلَتْ عَلَى الْفَرَضِ وَالتَّقْدِيرِ فَهُوَ أَيْضًا قَلِقٌ
مِنَ الْجِهَاتِ الْمَذْكُورَةِ.

وَيَتَلَقَّى الْمَكَارِهِ بِقَلْقٍ وَجَزَعٍ وَخَوْفٍ وَضَجَرٍ، فَلَا تَسْأَلُ عَنْ مَا
يَحْدُثُ لَهُ مِنْ؛ شَقَاءِ الْحَيَاةِ، وَمِنْ الْأَمْرَاضِ الْفِكْرِيَّةِ وَالْعَصَبِيَّةِ، وَمِنْ الْخَوْفِ
الَّذِي قَدْ يَصِلُ بِهِ إِلَى أَسْوَأِ الْحَالَاتِ وَأَفْظَعِ الْمُرْجَحَاتِ، لِأَنَّهُ لَا يَرْجُو ثَوَابًا، وَلَا
صَبَرَ عِنْدَهُ يُسَلِّيهُ وَيُهَوِّنُ عَلَيْهِ.

وَكُلُّ هَذَا مُشَاهِدٌ بِالتَّجَرُّبَةِ، وَمَثَلٌ وَاحِدٌ مِنْ هَذَا النَّوعِ، إِذَا تَدَبَّرْتَهُ وَنَزَلْتَهُ
عَلَى أَحْوَالِ النَّاسِ، رَأَيْتَ الْفَرْقَ الْعَظِيمَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ الْعَامِلِ بِمُقْتَضَى إِيْمَانِهِ، وَبَيْنَ
مَنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ، وَهُوَ؛ أَنَّ الدِّينَ يُحْتَ غَايَةُ الْحَثِّ عَلَى الْقَنَاعَةِ بِرِزْقِ اللَّهِ،
وَبِمَا آتَى الْعِبَادَ مِنْ فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ الْمُتَنَوِّعِ.

فَالْمُؤْمِنُ إِذَا ابْتُلِيَ بِمَرَضٍ أَوْ فَقْرٍ، أَوْ نَحْوِهِ مِنَ الْأَعْرَاضِ الَّتِي كُلُّ أَحَدٍ
عُرْضَةٌ لَهَا، فَإِنَّهُ - بِإِيْمَانِهِ وَبِمَا عِنْدَهُ مِنَ الْقَنَاعَةِ وَالرِّضَى بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ -
يَكُونُ قَرِيرَ الْعَيْنِ، لَا يَتَطَلَّبُ بِقَلْبِهِ أَمْرًا لَمْ يُقَدَّرْ لَهُ، يَنْظُرُ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ،

1 في الطبعة التي باعته الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ "مُتَشَوِّقَةً".

وَلَا يَنْظُرُ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ، وَرُبَّمَا زَادَتْ بِهِجَتُهُ وَسُرُورُهُ وَرَاحَتُهُ عَلَى مَنْ هُوَ مُتَحَصِّلٌ¹ عَلَى جَمِيعِ الْمَطَالِبِ الدُّنْيَوِيَّةِ، إِذَا لَمْ يُوْتِ الْقَنَاعَةُ.

كَمَا تَجِدُ هَذَا الَّذِي لَيْسَ عِنْدَهُ عَمَلٌ بِمُقْتَضَى الْإِيمَانِ، إِذَا ابْتُلِيَ بِشَيْءٍ مِنَ الْفَقْرِ، أَوْ فَقَدَ بَعْضَ الْمَطَالِبِ الدُّنْيَوِيَّةِ، تَجِدُهُ غَايَةً فِي التَّعَاسَةِ وَالشَّقَاءِ.

وَمَثَلٌ آخَرٌ: إِذَا حَدَّثَتْ أَسْبَابُ الْخَوْفِ، وَأَلَمَّتْ بِالْإِنْسَانِ الْمُرْجَحَاتُ، تَجِدُ صَاحِبَ الْإِيمَانِ ثَابِتَ الْقَلْبِ، مُطْمَئِنِّ النَّفْسِ، مُتَمَكِّناً مِنْ تَدْبِيرِهِ وَتَسْيِيرِهِ لِهَذَا الْأَمْرِ الَّذِي دَاهَمَهُ، بِمَا هُوَ فِي وَسْعِهِ مِنْ فِكْرٍ وَقَوْلٍ وَعَمَلٍ، قَدْ² وَطَّنَ نَفْسَهُ لِهَذَا الْمُرْجَعِ الْمَلَمِّ، وَهَذِهِ أَحْوَالُ تُرِيحِ الْإِنْسَانَ وَتُثَبِّتُ فُؤَادَهُ.

كَمَا تَجِدُ فَاقِدَ الْإِيمَانِ بَعْكَسِ هَذِهِ الْحَالِ، إِذَا وَقَعَتْ الْمَخَافُفُ انْزِعَاجَ لَهَا ضَمِيرُهُ، وَتَوَثَّرَتْ أَعْصَابُهُ، وَتَشَتَّتْ أَفْكَارُهُ وَدَاخَلَهُ الْخَوْفُ وَالرُّعْبُ، وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ الْخَوْفُ الْخَارِجِيُّ، وَالْقَلَقُ الْبَاطِنِيُّ الَّذِي لَا يُمَكِّنُ التَّعْبِيرَ عَنْ كُنْهِهِ، وَهَذَا النَّوعُ مِنَ النَّاسِ إِنْ لَمْ يَحْصُلْ لَهُمْ بَعْضُ الْأَسْبَابِ الطَّبِيعِيَّةِ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَى تَمَرِّينٍ كَثِيرٍ، انْهَارَتْ قِيَاهُمْ وَتَوَثَّرَتْ أَعْصَابُهُمْ، وَذَلِكَ لِفَقْدِ الْإِيمَانِ الَّذِي يَحْمِلُ عَلَى الصَّبْرِ، خُصُوصاً فِي الْمَحَالِّ الْحَرِجَةِ، وَالْأَحْوَالِ الْمُحْزِنَةِ الْمُرْجَعَةِ.

فَالْبُرُّ وَالْفَاجِرُ، وَالْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ يَشْتَرِكَانِ فِي جَلْبِ الشَّجَاعَةِ الْإِكْتِسَابِيَّةِ، وَفِي الْغَرِيزَةِ الَّتِي تُلَطِّفُ الْمَخَافَافَ وَتَهْوِنُهَا، وَلَكِنْ يَتَمَيَّزُ الْمُؤْمِنُ بِقُوَّةِ إِيْمَانِهِ وَصَبْرِهِ وَتَوَكُّلِهِ عَلَى اللَّهِ وَاعْتِمَادِهِ عَلَيْهِ، وَاحْتِسَابِهِ لِثَوَابِهِ؛ أُمُوراً تَزْدَادُ بِهَا شَجَاعَتُهُ، وَتُخَفِّفُ عَنْهُ وَطْأَةَ الْخَوْفِ، وَتَهْوِنُ عَلَيْهِ الْمَصَاعِبَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلُمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلُمُونَ كَمَا تَأْلُمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾³.

1 في الطبعة التي ضمن مجموع مؤلفات ابن سعدي "مُحَصِّلٌ".

2 في الطبعة التي ضمن مجموع مؤلفات ابن سعدي "وقد".

3 [النساء:104].

وَيَحْصُلُ لَهُمْ مِنْ مَعُونَةِ اللَّهِ وَمَعِينِهِ الْخَاصِّ وَمَدَدِهِ مَا يُبْعَثُ الْمَخَافُ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾¹.

2 — وَمِنْ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُزِيلُ الْهَمَّ وَالْغَمَّ وَالْقَلْقُ²: الْإِحْسَانُ إِلَى الْخَلْقِ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، وَأَنْوَاعِ الْمَعْرُوفِ، وَكُلُّهَا خَيْرٌ وَإِحْسَانٌ، وَبِهَا يَدْفَعُ اللَّهُ عَنِ الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ الْهُمُومَ وَالْغُمُومَ بِحَسَبِهَا، وَلَكِنْ لِلْمُؤْمِنِ مِنْهَا أَكْمَلُ الْحِظِّ وَالنَّصِيبِ، وَيَتَمَيَّزُ بَأَنَّ إِحْسَانَهُ صَادِرٌ عَنْ إِخْلَاصٍ وَاحْتِسَابٍ لِثَوَابِهِ، فَيَهْوَنُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِذَلِكَ الْمَعْرُوفِ لِمَا يَرْجُوهُ مِنَ الْخَيْرِ، وَيَدْفَعُ عَنْهُ الْمَكَارَةَ بِإِخْلَاصِهِ وَاحْتِسَابِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾³، فَأَخْبَرَ تَعَالَى؛

— أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ كُلُّهَا خَيْرٌ مِمَّنْ صَدَرَتْ مِنْهُ، وَالْخَيْرُ يَجْلِبُ الْخَيْرَ، وَيَدْفَعُ الشَّرَّ.

— وَأَنَّ الْمُؤْمِنَ الْمُحْتَسِبَ يُؤْتِيهِ اللَّهُ أَجْرًا عَظِيمًا، وَمِنْ جُمْلَةِ الْأَجْرِ الْعَظِيمِ: زَوَالُ الْهَمِّ وَالْغَمِّ وَالْأَكْذَارِ وَنَحْوِهَا.

1 [الأنفال:46].

2 فائدة: المكروه الوارد على القلب:

— إن كان من أمر ماضٍ أحدث؛ الحزن.

— وإن كان من أمر حاضر أحدث؛ الغم.

— وإن كان من أمر مستقبل أحدث؛ الهم.

3 [النساء:114].

فصل

3 - وَمِنْ أَسْبَابِ دَفْعِ الْقَلْقِ النَّاشِ عَنْ تَوَثُّرِ الْأَعْصَابِ، وَاشْتِغَالِ الْقَلْبِ بِبَعْضِ الْمَكْدِرَاتِ: الْإِشْتِغَالُ بِعَمَلٍ مِنَ الْأَعْمَالِ أَوْ عِلْمٍ مِنَ الْعُلُومِ النَّافِعَةِ؛ فَإِنَّهَا تُلْهِي الْقَلْبَ عَنْ اشْتِغَالِهِ بِذَلِكَ الْأَمْرِ الَّذِي أَقْلَقَهُ، وَرُبَّمَا نَسِيَ بِسَبَبِ ذَلِكَ الْأَسْبَابِ الَّتِي أَوْجَبَتْ لَهُ الْهَمَّ وَالْغَمَّ، فَفَرِحَتْ نَفْسُهُ، وَازْدَادَ نَشَاطُهُ.

وَهَذَا السَّبَبُ أَيْضاً مُشْتَرَكٌ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَغَيْرِهِ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ يَمْتَّازُ بِإِيمَانِهِ وَإِخْلَاصِهِ وَاحْتِسَابِهِ فِي اشْتِغَالِهِ بِذَلِكَ الْعِلْمِ الَّذِي يَتَعَلَّمُهُ أَوْ يُعَلِّمُهُ، وَبِعَمَلِ الْخَيْرِ الَّذِي يَعْمَلُهُ، إِنْ كَانَ عِبَادَةً فَهُوَ عِبَادَةٌ، وَإِنْ كَانَ شُغلاً دُنْيَوِيًّا أَوْ عَادَةً دُنْيَوِيَّةً أَصَحَّهَا النِّيَّةُ الصَّالِحَةُ، وَقَصْدُ الْإِسْتِعَانَةِ بِذَلِكَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، فَلِذَلِكَ أَثَرُهُ الْفَعَالُ فِي دَفْعِ الْهَمِّ وَالْغُمِّ وَالْأَحْزَانِ، فَكَمِ مِنْ إِنْسَانٍ ابْتُلِيَ بِالْقَلْقِ وَمُلَازِمَةِ الْأَكْدَارِ، فَحَلَّتْ² بِهِ الْأَمْرَاضُ الْمُتَنَوِّعَةُ، فَصَارَ دَوَاؤُهُ النَّاجِعُ³؛ نِسْيَانُهُ السَّبَبِ الَّذِي كَدَّرَهُ وَأَقْلَقَهُ، وَاشْتِغَالُهُ بِعَمَلٍ مِنْ مُهِمَّاتِهِ. وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الشُّغْلُ الَّذِي يَشْتَغِلُ فِيهِ مِمَّا تَأْنَسُ بِهِ النَّفْسُ وَتَشْتَاقُهُ، فَإِنَّ هَذَا أَدْعَى لِحُصُولِ هَذَا الْمَقْصُودِ النَّافِعِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

1 في الطبعة التي ضمن مجموع مؤلفات ابن سعدي "و".

2 في الطبعة التي ضمن مجموع مؤلفات ابن سعدي "فأحلت".

3 في الطبعة التي باعته الشيخ عبد الرزاق "الناجح".

4 - وَمِمَّا يُدْفَعُ بِهِ الْهَمُّ وَالْقَلَقُ: اجْتِمَاعُ الْفِكْرِ كُلِّهِ عَلَى الْإِهْتِمَامِ بِعَمَلِ

اليَوْمِ الْحَاضِرِ، وَقَطْعُهُ عَنِ الْإِهْتِمَامِ فِي الْوَقْتِ الْمُسْتَقْبَلِ، وَعَنِ الْحُزْنِ عَلَى الْوَقْتِ الْمَاضِي، وَلِهَذَا اسْتَعَاذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحُزْنِ¹؛ - فَالْحُزْنُ عَلَى الْأُمُورِ الْمَاضِيَةِ الَّتِي لَا يُمَكِّنُ رَدُّهَا وَلَا اسْتِدْرَاكُهَا. - وَالْهَمُّ الَّذِي يَحْدُثُ بِسَبَبِ الْخَوْفِ مِنَ الْمُسْتَقْبَلِ².

فَيَكُونُ الْعَبْدُ ابْنَ يَوْمِهِ، يَجْمَعُ جِدَّهُ وَاجْتِهَادَهُ فِي إِصْلَاحِ يَوْمِهِ وَوَقْتِهِ الْحَاضِرِ، فَإِنَّ جَمْعَ الْقَلْبِ عَلَى ذَلِكَ يُوجِبُ تَكْمِيلَ الْأَعْمَالِ، وَيَتَسَلَّى بِهِ الْعَبْدُ عَنِ الْهَمِّ وَالْحُزْنِ.

وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَعَا بِدُعَاءٍ أَوْ أَرَشَدَ أُمَّتَهُ إِلَى دُعَاءٍ فَهُوَ³ يَحْتُ مَعَ الْإِسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ، وَالطَّمَعِ فِي فَضْلِهِ عَلَى الْجِدِّ وَالْاجْتِهَادِ فِي التَّحَقُّقِ لِحُصُولِ مَا يَدْعُو لِحُصُولِهِ⁴، وَالتَّخَلِّي عَمَّا كَانَ يَدْعُو لِدَفْعِهِ، لِأَنَّ الدُّعَاءَ مُقَارِنٌ لِلْعَمَلِ، فَالْعَبْدُ يَجْتَهِدُ فِيمَا يَنْفَعُهُ فِي الدِّينِ وَالْدُنْيَا، وَيَسْأَلُ رَبَّهُ نَجَاحَ مَقْصَدِهِ، وَيَسْتَعِينُهُ⁵ عَلَى ذَلِكَ، كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " اِحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِذَا أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا كَانَ

1 في الحديث الذي رواه البخاري (2893) (5425) (6363) (6369)، و مسلم (1365) لكن الإمام مسلم لم يذكر موضع الشاهد المتعلق بالاستعاذة من الهم والحزن.

2 في طبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف: " فلا ينفع الحزن على الأمور الماضية التي لا يمكن ردها ولا استدراكها وقد يضر الهم الذي يحدث بسبب الخوف من المستقبل، فعلى العبد أن يكون ابن يومه ".³

3 في طبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف " فإنما ".

4 في الطبعة التي ضمن مجموع مؤلفات ابن سعدي وطبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف " بمحصوله ".

5 في الطبعة التي باعته الشيخ عبد الرزاق " ويستعين به ".

كَذًا وَكَذًا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنْ لَوْ تَفَتَّحَ عَمَلُ الشَّيْطَانِ¹.

فَجَمَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛

يَبَيِّنُ: - الْأَمْرَ بِالْحَرِصِ عَلَى الْأُمُورِ النَّافِعَةِ فِي كُلِّ حَالٍ.

- وَالِاسْتِعَانَةَ بِاللَّهِ وَعَدَمَ الْإِنْقِيَادِ لِلْعَجْزِ الَّذِي هُوَ الْكَسَلُ الضَّارُّ.

وَيَبَيِّنُ: الْإِسْتِسْلَامَ لِلْأُمُورِ الْمَاضِيَةِ النَّافِذَةِ، وَمُشَاهَدَةَ قَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ.

وَجَعَلَ الْأُمُورَ قِسْمَيْنِ:

- قِسْمًا يُمَكِّنُ الْعَبْدَ السَّعْيَ فِي تَحْصِيلِهِ أَوْ تَحْصِيلِ مَا يُمَكِّنُ مِنْهُ، أَوْ دَفْعَهُ

أَوْ تَخْفِيفَهُ؛ فَهَذَا يُبْدِي فِيهِ الْعَبْدُ مَجْهُودَهُ وَيَسْتَعِينُ بِمَعْبُودِهِ.

- وَقِسْمًا لَا يُمَكِّنُ فِيهِ ذَلِكَ؛ فَهَذَا يَطْمَئِنُّ لَهُ الْعَبْدُ وَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ.

وَلَا رَيْبَ أَنَّ مُرَاعَاةَ هَذَا الْأَصْلِ سَبَبٌ لِلسُّرُورِ وَزَوَالِ² الْهَمِّ وَالْغَمِّ.

1 رواه مسلم (2664) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

2 في الطبعة التي ضمن مجموع مؤلفات ابن سعدي "ولزوال".

فصل

5 - وَمِنْ أَكْبَرِ الْأَسْبَابِ لِانْشِرَاحِ الصَّدْرِ وَطُمَأْنِينَتِهِ: الْإِكْتِثَارُ مِنْ ذِكْرِ

اللَّهِ؛ فَإِنَّ لِدَلِكْ تَأْثِيرًا عَجِيبًا فِي انْشِرَاحِ الصَّدْرِ وَطُمَأْنِينَتِهِ، وَزَوَالِ هَمِّهِ وَغَمِّهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾¹، فَلِذِكْرِ اللَّهِ أَثَرٌ عَظِيمٌ فِي حُصُولِ هَذَا الْمَطْلُوبِ لِخَاصِّيَّتِهِ، وَلَمَّا يَرْجُوهُ الْعَبْدُ مِنْ ثَوَابِهِ وَأَجْرِهِ.

6 - وَكَذَلِكَ التَّحَدُّثُ بِنِعَمِ اللَّهِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، فَإِنَّ مَعْرِفَتَهَا وَالتَّحَدُّثَ

بِهَا يَدْفَعُ اللَّهُ بِهِ الْهَمَّ وَالْغَمَّ، وَيُحِثُّ الْعَبْدَ عَلَى الشُّكْرِ الَّذِي هُوَ أَرْفَعُ الْمَرَاتِبِ وَأَعْلَاهَا، حَتَّى وَلَوْ كَانَ الْعَبْدُ فِي حَالَةٍ فَقْرٍ أَوْ مَرَضٍ أَوْ غَيْرِهِمَا مِنْ أَنْوَاعِ الْبَلَايَا، فَإِنَّهُ إِذَا قَابَلَ بَيْنَ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِ - الَّتِي لَا يُحْصَى لَهَا عَدُّ وَلَا حِسَابٌ - وَبَيْنَ مَا أَصَابَهُ مِنْ مَكْرُوهِ، لَمْ يَكُنْ لِلْمَكْرُوهِ إِلَى النِّعَمِ نِسْبَةٌ.

بَلِ الْمَكْرُوهُ وَالْمَصَائِبُ إِذَا ابْتَلَى اللَّهُ بِهَا الْعَبْدَ، وَأَدَّى فِيهَا وَظِيفَةَ الصَّبْرِ وَالرَّضَى وَالتَّسْلِيمِ، هَانَتْ وَطَأَّتْهَا، وَخَفَّتْ مُؤْتَتَاهَا، وَكَانَ تَأْمِيلُ الْعَبْدِ لِأَجْرِهَا وَثَوَابِهَا وَالتَّعَبُّدُ لِلَّهِ بِالْقِيَامِ بِوِظِيفَةِ الصَّبْرِ وَالرَّضَى، يَدْعُ الْأَشْيَاءَ الْمُرَّةَ حُلُوهً فَتُنْسِيهِ حَلَاوَةً أَجْرَهَا مَرَارَةً صَبْرَهَا.

1 [الرعد:28].

2 في الطبعة التي ضمن مجموع مؤلفات ابن سعدي "لو".

7 - وَمِنْ أَنْفَعِ الْأَشْيَاءِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ اسْتِعْمَالُ مَا أَرْشَدَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ حَيْثُ قَالَ: " انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ " ¹، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا نَصَبَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ هَذَا الْمَلْحَظَ الْجَلِيلَ، رَأَهُ يَفُوقُ قِطْعًا ² كَثِيرًا مِنَ الْخَلْقِ؛ فِي الْعَافِيَةِ وَتَوَابِعِهَا.

وَفِي الرِّزْقِ وَتَوَابِعِهِ مَهْمًا بَلَغَتْ بِهِ الْحَالُ.
فَيَزُولُ قَلْقُهُ وَهَمُّهُ وَغَمُّهُ، وَيَزْدَادُ سُرُورُهُ وَاعْتِبَاطُهُ بِنِعَمِ اللَّهِ الَّتِي فَاقَ فِيهَا غَيْرَهُ
مِمَّنْ هُوَ دُونَهُ فِيهَا.
وَكَلَّمَا طَالَ تَأَمُّلُ الْعَبْدِ بِنِعَمِ اللَّهِ؛
الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ.
الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ.

رَأَى رَبَّهُ قَدْ أَعْطَاهُ خَيْرًا كَثِيرًا وَدَفَعَ عَنْهُ سُرُورًا مُتَعَدِّدَةً، وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا
يَدْفَعُ الْهُمُومَ وَالْغُمُومَ، وَيُوجِبُ الْفَرَحَ وَالسُّرُورَ.

1 رواه البخاري (6490)، ومسلم (2963) واللفظ له عن أبي هريرة رضي الله عنه.

2 في طبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف " جمعا " .

فصل

8 — وَمِنَ الْأَسْبَابِ الْمَوْجِبَةِ لِلشُّرُورِ وَزَوَالِ الْهَمِّ وَالْغَمِّ: السَّعْيُ فِي إِزَالَةِ الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لِلْهُمُومِ، وَفِي تَحْصِيلِ الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لِلشُّرُورِ، وَذَلِكَ: بِنِسْيَانِ مَا مَضَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَكَارِهِ الَّتِي لَا يُمَكِّنُهُ رَدُّهَا؛ وَمَعْرِفَتِهِ أَنَّ اشْتِغَالَ فِكْرِهِ فِيهَا مِنْ بَابِ الْعَبَثِ وَالْمُحَالِ، وَأَنَّ ذَلِكَ حُمَقٌ وَجُنُونٌ، فَيُجَاهِدُ قَلْبَهُ عَنِ التَّفَكُّرِ فِيهَا.

وَكَذَلِكَ يُجَاهِدُ قَلْبَهُ عَنِ قَلْقِهِ لِمَا يَسْتَقْبِلُهُ؛ مِمَّا يَتَوَهَّمُهُ مِنْ فَقْرٍ أَوْ خَوْفٍ، أَوْ غَيْرِهِمَا مِنَ الْمَكَارِهِ الَّتِي يَتَخَيَّلُهَا فِي مُسْتَقْبَلِ حَيَاتِهِ.

فَيَعْلَمُ أَنَّ الْأُمُورَ الْمُسْتَقْبَلَةَ؛

مَجْهُولٌ مَا يَقَعُ فِيهَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ وَأَمَالٍ وَآلَمٍ.

وَأَنَّهَا بِيَدِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ.

لَيْسَ بِيَدِ الْعِبَادِ مِنْهَا شَيْءٌ، إِلَّا السَّعْيُ فِي تَحْصِيلِ خَيْرَاتِهَا،

وَدَفْعِ مَضَرَّاتِهَا.

وَيَعْلَمُ الْعَبْدُ أَنَّهُ؛

إِذَا صَرَفَ فِكْرَهُ عَنِ قَلْقِهِ مِنْ أَجْلِ مُسْتَقْبَلِ أَمْرِهِ.

وَاتَّكَلَ عَلَى رَبِّهِ فِي إِصْلَاحِهِ، وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ.

إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ اطمَأَنَّ قَلْبُهُ وَصَلَحَتْ أحوَالُهُ، وَزَالَ عَنْهُ هَمُّهُ وَقَلْقُهُ.

9 - وَمِنْ أَفْعَ مَا يَكُونُ فِي مُلَاحَظَةِ مُسْتَقْبَلِ الْأُمُورِ؛

اسْتِعْمَالُ هَذَا الدُّعَاءِ الَّذِي كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو بِهِ:
" اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي.
وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي.
وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي إِلَيْهَا مَعَادِي.
وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ.
وَالْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ " ¹.
وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: " اللَّهُمَّ رَحْمَتُكَ أَرْجُو فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ
لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ " ².
فَإِذَا؛

- لَهَجَ الْعَبْدُ بِهَذَا الدُّعَاءِ الَّذِي فِيهِ صَلَاحُ مُسْتَقْبَلِهِ الدِّينِيِّ وَالْدُنْيَوِيِّ.

- بِقَلْبٍ حَاضِرٍ.

- وَبَيِّنَةٍ صَادِقَةٍ.

- مَعَ اجْتِهَادِهِ فِيمَا يُحَقِّقُ ذَلِكَ.

حَقَّقَ اللَّهُ لَهُ مَا دَعَاهُ وَرَجَاهُ وَعَمِلَ لَهُ، وَانْقَلَبَ هُمُّهُ فَرَحًا وَسُرُورًا.

1 رواه مسلم (2720) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

2 رواه أحمد (20430) وأبو داود (5090) من حديث أبي بكر - رضي الله عنه - وحسنه العلامة الألباني كما في صحيح أبي داود (5090) وصحيح الأدب المفرد (701) وتخرّج الكلم الطيب (121)، وحسنه كذلك العلامة ابن باز كما في تحفة الأخيار صفحة 24.

فصل

10 – وَمِنْ أَفْعَ الْأَسْبَابِ لِزَوَالِ الْقَلْقِ وَالْهُمُومِ إِذَا حَصَلَ عَلَى الْعَبْدِ

مِنَ النَّكَبَاتِ:

أَنْ يَسْعَى فِي تَخْفِيفِهَا؛ بِأَنْ يَقْدَرَ أَسْوَأَ الْإِحْتِمَالَاتِ الَّتِي يَنْتَهِي إِلَيْهَا الْأَمْرُ.
وَيُوطِّنَ عَلَى ذَلِكَ نَفْسَهُ.

فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ، فَلْيَسْعَ إِلَى تَخْفِيفِ مَا يُمَكِّنُ تَخْفِيفَهُ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ، فَبِهَذَا
التَّوْطِينِ وَبِهَذَا السَّعْيِ النَّافِعِ، تَزُولُ هُمُومُهُ وَغُمُومُهُ، وَيَكُونُ بَذَلُ ذَلِكَ السَّعْيِ
فِي جَلْبِ الْمَنَافِعِ، وَفِي دَفْعِ الْمَضَارِّ الْمَيَسُورَةِ لِلْعَبْدِ.

فَإِذَا حَلَّتْ بِهِ؛ أَسْبَابُ الْخَوْفِ، وَأَسْبَابُ الْأَسْقَامِ، وَأَسْبَابُ الْفَقْرِ وَالْعَدَمِ لِمَا
يُحِبُّهُ مِنَ الْمَحْبُوبَاتِ الْمُتَنَوِّعَةِ، فَلْيَتَلَقَّ ذَلِكَ؛

– بِطُمَأْنِينَةٍ وَتَوَطُّينٍ لِلنَّفْسِ عَلَيْهَا، بَلْ عَلَى أَشَدِّ مَا يُمَكِّنُ مِنْهَا، فَإِنَّ تَوَطُّينَ
النَّفْسِ عَلَى احْتِمَالِ الْمَكَارِهِ، يَهْوِنُهَا وَيُزِيلُ شِدَّتَهَا، وَخُصُوصاً إِذَا أَشْغَلَ نَفْسَهُ
بِمُدَافَعَتِهَا بِحَسَبِ مَقْدُورِهِ، فَيَجْتَمِعُ فِي حَقِّهِ:

تَوَطُّينُ النَّفْسِ.

مَعَ السَّعْيِ النَّافِعِ.

الَّذِي يُشْغَلُ عَنْ الْإِهْتِمَامِ بِالْمَصَائِبِ.

1 في الطبعة التي ضمن مجموع مؤلفات ابن سعدي "رفع".

- وَيُجَاهِدَ نَفْسَهُ عَلَى تَجْدِيدِ قُوَّتِهِ الْمَقَاوِمَةِ لِلْمَكَارِهِ.

- مَعَ اعْتِمَادِهِ فِي ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ وَحُسْنِ الثِّقَةِ بِهِ.

وَلَا رَيْبَ أَنَّ لِهَذِهِ الْأُمُورِ فَائِدَتَهَا الْعُظْمَى فِي حُصُولِ السُّرُورِ وَانْشِرَاحِ
الصُّدُورِ، مَعَ مَا يُؤَمِّلُهُ الْعَبْدُ مِنَ الثَّوَابِ الْعَاجِلِ وَالْآجِلِ، وَهَذَا مُشَاهَدٌ
مُجَرَّبٌ، وَوَقَائِعُهُ مِمَّنْ جَرَّبَهُ كَثِيرَةٌ جَدًّا.

فصل

11 – وَمِنْ أَعْظَمِ الْعِلَاجَاتِ لِمَرَضِ الْقَلْبِ الْعَصِيَّةِ، بَلْ وَأَيْضاً
لِلْأَمْرَاضِ الْبَدَنِيَّةِ: قُوَّةُ الْقَلْبِ وَعَدَمُ انْزِعَاجِهِ وَانْفِعَالِهِ لِلْأَوْهَامِ وَالْخَيَالَاتِ الَّتِي
تَجْلِبُهَا الْأَفْكَارُ السَّيِّئَةُ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ مَتَى اسْتَسَلَّمَ لِلْخَيَالَاتِ، وَانْفَعَلَ قَلْبُهُ
لِلْمُؤَثِّرَاتِ؛ مِنْ الْخَوْفِ مِنَ الْأَمْرَاضِ وَغَيْرِهَا، وَمِنْ الْغَضَبِ وَالتَّشَوُّشِ مِنَ
الْأَسْبَابِ الْمُؤَلِّمَةِ، وَمِنْ تَوَقُّعِ حَدُوثِ الْمَكَارِهِ وَزَوَالِ الْمَحَابِّ، أَوْقَعَهُ ذَلِكَ فِي
الْهُمُومِ وَالْغُمُومِ وَالْأَمْرَاضِ الْقَلْبِيَّةِ وَالْبَدَنِيَّةِ، وَالْإِنْهِيَارِ الْعَصَبِيِّ الَّذِي لَهُ آثَارُهُ
السَّيِّئَةُ، الَّتِي قَدْ شَاهَدَ النَّاسُ مَضَارَّهَا الْكَثِيرَةَ.

12 – وَمَتَى؛

اعْتَمَدَ الْقَلْبُ عَلَى اللَّهِ، وَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ.
وَلَمْ يَسْتَسَلِّمْ لِلْأَوْهَامِ، وَلَا مَلَكَتْهُ الْخَيَالَاتُ السَّيِّئَةُ.
وَوَثِقَ بِاللَّهِ وَطَمِعَ فِي فَضْلِهِ.

انْدَفَعَتْ عَنْهُ بِذَلِكَ الْهُمُومُ وَالْغُمُومُ، وَزَالَتْ عَنْهُ كَثِيرٌ مِنَ الْأَسْقَامِ
الْبَدَنِيَّةِ وَالْقَلْبِيَّةِ.

وَحَصَلَ لِلْقَلْبِ مِنَ الْقُوَّةِ وَالْإِنْشِرَاحِ وَالسُّرُورِ، مَا لَا يُمَكِّنُ التَّعْبِيرُ
عَنْهُ.

فَكَمْ مُلِئَتِ الْمُسْتَشْفِيَّاتُ مِنْ مَرَضَى الْأَوْهَامِ وَالْخَيَالَاتِ الْفَاسِدَةِ، وَكَمْ أَثَرَتْ هَذِهِ الْأُمُورُ عَلَى قُلُوبِ كَثِيرِينَ مِنَ الْأَقْوِيَاءِ، فَضْلاً عَنِ الضُّعَفَاءِ، وَكَمْ أَدَّتْ إِلَى الْحُمَقِ وَالْجُنُونِ، وَالْمُعَافَى مَنْ عَافَاهُ اللَّهُ، وَوَفَّقَهُ لِحِجَادِ نَفْسِهِ لِتَحْصِيلِ الْأَسْبَابِ النَّافِعَةِ الْمُقْوِيَةِ لِلْقَلْبِ، الدَّافِعَةِ لِقَلْقِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾¹، أَيِ كَافِيهِ جَمِيعَ مَا يُهِمُّهُ مِنْ أَمْرِ دِينِهِ وَدُنْيَاهِ. فَالْمُتَوَكِّلُ عَلَى اللَّهِ قَوِيُّ الْقَلْبِ لَا تُؤَثِّرُ فِيهِ الْأَوْهَامُ، وَلَا تُرْجِعُهُ الْحَوَادِثُ؛ لِعِلْمِهِ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ ضَعْفِ النَّفْسِ، وَمِنْ الْخَوَرِ وَالْخَوْفِ الَّذِي لَا حَقِيقَةَ لَهُ.

وَيَعْلَمُ مَعَ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ تَكَفَّلَ لِمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ بِالْكَفَايَةِ التَّامَّةِ. فَيَثَبُّ بِاللَّهِ وَيَطْمَئِنُّ لَوَعْدِهِ، فَيَزُولُ هَمُّهُ وَقَلْقُهُ، وَيَتَبَدَّلُ عُسْرُهُ يُسْرًا، وَتَرَحُّهُ² فَرَحًا، وَخَوْفُهُ أَمْنًا. فَلِنَسْأَلُهُ تَعَالَى الْعَافِيَةَ وَأَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْنَا بِقُوَّةِ الْقَلْبِ وَثَبَاتِهِ، وَبِالتَّوَكُّلِ الْكَامِلِ الَّذِي تَكَفَّلَ اللَّهُ لِأَهْلِهِ بِكُلِّ خَيْرٍ، وَدَفَعَ كُلَّ مَكْرُوهِ وَضَيْرٍ³.

1 [الطلاق:3].

2 الترح: هو الحزن.

3 الضير: هو الضرر.

فصل

13 - وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم: " لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقاً رضي منها خلقاً آخر "¹، فائدتان عظيمتان:

أ/— إحداهما: الإرشاد إلى معاملة الزوجة والقريب والصاحب والعامل²، وكل من بينك وبينه علاقة واتصال، وأنه ينبغي أن توطن نفسك على أنه لا بد أن يكون فيه عيب أو نقص أو أمر تكرهه، فإذا وجدت ذلك، فقارن بين هذا وبين ما يجب عليك، أو ينبغي لك من قوة الاتصال والإبقاء على المحبة، بتذكر ما فيه من المحاسن، والمقاصد الخاصة والعامة، وبهذا الإغضاء عن المساوي وملاحظة المحاسن، تدوم الصحبة والاتصال وتتم الراحة وتحصل لك.

ب/— الفائدة الثانية: وهي زوال الهم والقلق، وبقاء الصفاء، والمداومة على القيام بالحقوق الواجبة والمستحبة، وحصول الراحة بين الطرفين.

ومن لم يسترشد بهذا الذي ذكره النبي صلى الله عليه وسلم - بل عكس القضية فلحظ المساوي، وعمي عن المحاسن؛

1 رواه مسلم (1469) من حديث أبي هريرة.

2 في الطبعة التي ضمن مجموع مؤلفات ابن سعدي، وطبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف " المعامل ".

فَلَا بُدَّ أَنْ يَقْلَقَ.

وَلَا بُدَّ أَنْ يَتَكَدَّرَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ يَتَّصِلُ بِهِ مِنَ الْمَحَبَّةِ.

وَيَتَقَطَّعُ كَثِيرٌ مِنَ الْحُقُوقِ الَّتِي عَلَى كُلِّ مِنْهُمَا الْمَحَافَظَةُ عَلَيْهَا.

وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ذَوِي الْهَمِّ الْعَالِيَةِ، يُوْطِنُونَ أَنْفُسَهُمْ عِنْدَ وَقُوعِ
الْكَوَارِثِ وَالْمُزْجِجَاتِ عَلَى الصَّبْرِ وَالطَّمَأْنِينَةِ، وَلَكِنْ¹ عِنْدَ الْأُمُورِ الثَّاقِفَةِ
الْبَسِيطَةِ يَقْلَقُونَ، وَيَتَكَدَّرُ الصَّفَاءُ، وَالسَّبَبُ فِي هَذَا أَنَّهُمْ وَطَنُوا نُفُوسَهُمْ عِنْدَ
الْأُمُورِ الْكِبَارِ، وَتَرَكَوْهَا عِنْدَ الْأُمُورِ الصَّغَارِ، فَضَرَّتْهُمْ وَاثَّرَتْ فِي رَاحَتِهِمْ.

فَالْحَازِمُ يُوْطِنُ نَفْسَهُ عَلَى الْأُمُورِ الْقَلِيلَةِ وَالْكَبِيرَةِ وَيَسْأَلُ اللَّهَ الْإِعَانَةَ عَلَيْهَا،
وَأَنْ لَا يَكِلَهُ إِلَى نَفْسِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَسْهُلُ عَلَيْهِ الصَّغِيرُ، كَمَا سَهْلَ
عَلَيْهِ الْكَبِيرُ، وَيَبْقَى مُطْمَئِنِّ النَّفْسِ سَاكِنَ الْقَلْبِ مُسْتَرِيحًا.

1 في الطبعة التي ضمن مجموع مؤلفات ابن سعدي، وطبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف " لكن".

فصل

14 – العاقل يعلم أن حياته الصحيحة حياة السعادة والطمأنينة، وأنها قصيرة جداً، فلا ينبغي له أن يقصرها بالهم والاسترسال مع الأكدار، فإن ذلك ضد الحياة الصحيحة، فيشخ¹ بحياته أن يذهب كثير منها نهياً للهموم والأكدار، ولا فرق في هذا بين البر والفاجر، ولكن المؤمن له من التحقق بهذا الوصف الحظ الأوفر، والنصيب النافع العاجل والآجل.

15 – وينبغي أيضاً إذا أصابه مكروه أو خاف منه: أن يقارن بين بقية النعم الحاصلة له دينية أو دنيوية، وبين ما أصابه من مكروه، فعند المقارنة يتضح كثرة ما هو فيه من النعم، واضمحلال ما أصابه من المكروه.

وكذلك يقارن بين ما يخافه من حدوث ضرر عليه، وبين الاحتمالات الكثيرة في السلامة منها، فلا يدع الاحتمال الضعيف يغلب الاحتمالات الكثيرة القوية. وبذلك يزول همه وخوفه.

1 في الطبعة التي باعته الشيوخ عبد الرزاق البدر "يشع"؟!

وَيَقْدِرُ أَعْظَمَ مَا يَكُونُ مِنَ الْإِحْتِمَالَاتِ الَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ تُصِيبَهُ.
فَيُوطِنُ نَفْسَهُ لِخُذُوعِهَا إِنْ حَدَثَتْ.
وَيَسْعَى؛ فِي دَفْعِ مَا لَمْ يَقَعْ مِنْهَا.
وَفِي رَفْعِ¹ مَا وَقَعَ أَوْ تَخْفِيفِهِ.

16 – وَمِنَ الْأُمُورِ النَّافِعَةِ: أَنْ تَعْرِفَ أَنَّ أَذِيَّةَ النَّاسِ لَكَ وَخُصُوصاً فِي
الْأَقْوَالِ السَّيِّئَةِ، لَا تَضُرُّكَ بَلْ تَضُرُّهُمْ، إِلَّا إِنْ أَشْغَلَتْ نَفْسَكَ فِي الْإِهْتِمَامِ بِهَا،
وَسَوَّغَتْ لَهَا أَنْ تَمْلِكَ مَشَاعِرَكَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَضُرُّكَ كَمَا ضَرَّتْهُمْ، فَإِنْ أَنْتَ لَمْ
تُصْنَعْ² لَهَا بَالاً لَمْ تَضُرَّكَ شَيْئاً.

17 – وَاعْلَمْ أَنَّ حَيَاتَكَ تَبْعُ لِأَفْكَارِكَ، فَإِنْ كَانَتْ أَفْكَاراً فِيمَا يَعُودُ عَلَيْكَ
نَفْعُهُ فِي دِينٍ أَوْ دُنْيَا، فَحَيَاتُكَ طَيِّبَةٌ سَعِيدَةٌ، وَإِلَّا فَالْأَمْرُ بِالْعَكْسِ.

18 – وَمِنَ أَنْفَعِ الْأُمُورِ لِطَرْدِ الْهَمِّ: أَنْ تُوطِنَ نَفْسَكَ عَلَى أَنْ لَا تَطْلُبَ
الشُّكْرَ إِلَّا مِنَ اللَّهِ، فَإِذَا أَحْسَنْتَ إِلَى مَنْ لَهُ حَقٌّ عَلَيْكَ أَوْ مَنْ لَيْسَ لَهُ حَقٌّ،

1 في الطبعة التي باعته الشَّيْخُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ "دَفْعٌ"؟!.

2 في الطبعة التي باعته الشَّيْخُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَارِ اللَّهِ الْجَارِ اللَّهِ، وَطَبَعَتْهُ وَزَارَةُ الشُّؤْنِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْأَوْقَافِ "تَضَعُ".

فَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا مُعَامَلَةٌ مِنْكَ مَعَ اللَّهِ، فَلَا تُبَالِ بِشُكْرِ مَنْ أَنْعَمَتْ عَلَيْهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي حَقِّ خَوَاصِّ خَلْقِهِ؛ ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾¹.

وَيَتَأَكَّدُ هَذَا فِي مُعَامَلَةِ الْأَهْلِ وَالْأَوْلَادِ وَمَنْ قَوِيَ اتِّصَالُكَ بِهِمْ، فَمَتَى وَطَنْتَ نَفْسَكَ عَلَى إِقَاءِ الشَّرِّ عَنْهُمْ، فَقَدْ أَرَحْتَ وَاسْتَرَحْتَ. وَمِنْ دَوَاعِي الرَّاحَةِ؛ اخْذُ الْفَضَائِلِ، وَالْعَمَلُ عَلَيْهَا بِحَسَبِ الدَّاعِي النَّفْسِيِّ دُونَ التَّكَلُّفِ الَّذِي يُقْلِقُكَ، وَتَعَوُّدُ عَلَى أَدْرَاجِكَ خَائِباً مِنْ حُصُولِ الْفَضِيلَةِ، حَيْثُ سَلَكَتِ الطَّرِيقَ الْمُلْتَوِيَّ، وَهَذَا مِنَ الْحِكْمَةِ. وَأَنْ تَتَّخِذَ مِنَ الْأُمُورِ الْكَدِرَةِ أُمُوراً صَافِيَةً حُلُوةً وَبِذَلِكَ يَزِيدُ صَفَاءُ اللَّذَاتِ، وَتَزُولُ الْأَكْدَارُ.

19 - اجْعَلِ الْأُمُورَ النَّافِعَةَ نَصَبَ عَيْنِكَ وَاعْمَلْ عَلَى تَحْقِيقِهَا. وَلَا تَلْتَفِتْ إِلَى الْأُمُورِ الضَّارَّةِ، لِتَلْهُوَ بِذَلِكَ عَنِ الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لِلْهَمِّ وَالْحُزَنِ. وَاسْتَعِنْ بِالرَّاحَةِ وَاجْمَأْ² النَّفْسِ عَلَى الْأَعْمَالِ الْمُهِمَّةِ.

1 [الإنسان:9].

2 في الطبعة التي باعته الشَّيْخُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ، وَكَذَا الشَّيْخُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَارِ اللَّهِ الْجَارِ اللَّهِ، وَطَبَعَةُ وَزْرَةِ الشُّؤْنِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْأَوْقَافِ "إِجْمَاعٌ"؟!.

20 - وَمِنَ الْأُمُورِ النَّافِعَةِ: حَسَمُ الْأَعْمَالِ فِي الْحَالِ، وَالتَّفَرُّغُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، لِأَنَّ الْأَعْمَالَ إِذَا لَمْ تُحَسَمْ اجْتَمَعَ عَلَيْكَ بَقِيَّةُ الْأَعْمَالِ السَّابِقَةِ، وَانْضَافَتْ إِلَيْهَا الْأَعْمَالُ اللَّاحِقَةُ، فَتَشْتَدُّ وَطَأَتُهَا، فَإِذَا حَسَمْتَ كُلَّ شَيْءٍ بِوَقْتِهِ، أَتَيْتَ الْأُمُورَ الْمُسْتَقْبَلَةَ بِقُوَّةِ تَفْكِيرٍ وَقُوَّةِ عَمَلٍ.

21 - وَيَنْبَغِي أَنْ تَتَخَيَّرَ مِنَ الْأَعْمَالِ النَّافِعَةِ الْأَهَمَّ فَالْأَهَمَّ. وَمَيَّزَ بَيْنَ مَا تَمِيلُ نَفْسُكَ إِلَيْهِ وَتَشْتَدُّ رَغْبَتُكَ فِيهِ، فَإِنَّ ضِدَّهُ يُجِدُثُ السَّامَةُ وَالْمَلَلُ وَالْكَدَرُ. وَاسْتَعِنَ عَلَى ذَلِكَ بِالْفِكْرِ الصَّحِيحِ وَالْمُشَاوَرَةِ، فَمَا نَدِمَ مَنْ اسْتَشَارَ. وَادْرُسَ مَا تُرِيدُ فِعْلَهُ دَرْسًا دَقِيقًا. فَإِذَا: تَحَقَّقَتِ الْمَصْلَحَةُ. وَعَزَمْتَ. فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ.

تَمَّتْ هَذِهِ الرِّسَالَةُ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا¹ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

1 في الطبعة التي باعتهاء الشيخ عبد الرزاق "نبينا".

الْقَصِيدَةُ

نَظْمُ الْوَسَائِلِ الْمُفِيدَةِ لِلْحَيَاةِ السَّعِيدَةِ

لِلشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَجَّاحٍ آلِ طَاجِنٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- | | | |
|---|-----|---|
| أَقُولُ وَكُلُّ الْحَمْدِ لِلَّهِ كَائِنٌ | [1] | وَخَيْرُ صَلَاتِي لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ |
| وَالِ وَأَصْحَابٍ وَأَتَّبَاعِ سُنَّةٍ | [2] | لِيَوْمِ قِيَامِ النَّاسِ لِلَّهِ فِي غَدٍ |
| وَبَعْدُ فَهَذَا نَظْمٌ بَعْضُ وَسَائِلِ | [3] | نَتَالُ بِهَا سَعْدًا عَظِيمًا وَنَهْتَدِي |
| لِعَالَمِنَا (السَّعْدِيِّ) مَنْ كَانَ أُمَّةً | [4] | فَيَا رَبَّنَا ارْحَمَهُ، وَلِلْحَوْضِ أُورِدِ |
| وَمَنْ بَتَيْسِيرٍ وَنَظْمٍ مُوَفَّقٍ | [5] | وَخَلَّصَ مِنَ الْإِشْرَاكِ فِعْلِي وَمَقْصِدِي |
| وَأَعْظَمُ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ مُنْجَلٍ | [6] | بِإِيمَانِنَا الْمَعْقُودِ دُونَ تَرَدُّدٍ |
| وَتَوْبِ التُّقَى وَالْبِرِّ وَالْخَيْرِ دَائِمًا | [7] | وَصَالِحِ أَعْمَالٍ وَأَفْعَالٍ ارْتَدِ |

- وَذَلِكَ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَهُمْ هُدًى [8] بِهِ يُبَيَّنُّوا عَنْ كُلِّ عَاصٍ وَمُعْتَدِي
- فَعِنْدَ النَّدَى شُكْرٌ وَفِي الضَّرِّ صَابِرٌ [9] فَذَلِكَ صِرَاطٌ لِلتَّقِيِّ الْمُؤَجَّدِ
- وَإِحْسَانُنَا لِلْخَلْقِ يُورِثُ بِهِجَةً [10] فَأَحْسِنَ إِلَى كُلِّ الْبَرِيَّةِ تَسْعَدِ
- وَبِالْعِلْمِ وَالْفِعْلِ الَّذِي سَارَ نَافِعًا [11] أَلَا فَاشْتَغِلْ تَذْهَبْ هُمُومًا وَتَطْرُدِ
- وَلَا سِيِّمًا إِنْ كَانَ أَمْرًا مُحِبِّبًا [12] فَذَلِكَ أَدْعَى لَطَرِ الْمُنَكِّدِ
- وَفِكْرَكَ فَاجْمَعُهُ بِحَالٍ وَحَاضِرٍ [13] وَلَا تَكْ مَشْغُولًا بِمَاضٍ وَلَا الْغَدِ
- فَلَا أَنْتَ مُسْتَطِيعٌ لِإِرْجَاعِ فَائِتٍ [14] وَلَا أَنْتَ ذُو عِلْمٍ بِآتٍ وَمُورِدِ
- وَرَبِّكَ فَادْكُرْ بِكْرَةً وَعَشِيَّةً [15] تَتَلَّ ذِكْرَهُ فَوْقَ السَّمَاءِ وَتُحْمَدِ
- بِنِعْمَةِ مَوْلَانَا تَحْدُثْ تَحْدُثًا [16] فَذَلِكَ هَادٍ لِلصِّرَاطِ الْمُمَجَّدِ
- لِمَنْ دُونَكَ انْظُرْ دُونَ مَنْ هُوَ أَرْفَعُ [17] لِمَا جَاءَ فِي نَصِّ الْحَدِيثِ الْمُحْمَدِيِّ

- وَأَسْبَابَ هَمٍّ فَلْتُرِلَهَا مُحْصِلًا [18] لِأَسْبَابِ إِبْهَاجٍ وَمِنْهَا تَزُودُ
- فَتَنْسَى الَّذِي قَدْ فَاتَ إِذْ لَسْتَ قَادِرًا [19] عَلَى رَدِّهِ فَاحْذَرِ سَبِيلَ التَّبَلُّدِ
- وَإِنَّ دُعَاءَ اللَّهِ أَرْجَى مُسْلِمٍ [20] مِنْ الْهَمِّ وَالْأَحْزَانِ وَالْغَمِّ فَاقْصِدِ
- وَأَسُوا احْتِمَالَاتٍ أَلَا كُنْ مُقَدِّرًا [21] يَخَفُ عَلَيْكَ الْإِبْتِلَاءُ إِذَا ابْتَدَى
- وَقَلْبِكَ - يَا هَذَا - فَقَوِّ تَحْزُرًا [22] وَلَا تَنْزِعْ بِالْوَهْمِ أَوْ تَتَنَكَّدِ
- عَلَى اللَّهِ مَوْلَانَا تَوَكَّلْ تَوَكَّلَا [23] فَمَنْ رَبُّهُ يَقْصِدُ يُوفِّقُ وَيَرْشُدِ
- تَحْمَلْ غُيُوبَ الْآخِرِينَ مُوْطِنًا [24] عَلَى ذَلِكَ النَّفْسَ الزَّكِيَّةَ تَرَعْدِ
- وَعُمْرُكَ مَحْدُودٌ قَصِيرٌ وَمُنْتَهَى [25] فَلَا تُفْنِهِ فِي الْهَمِّ دَوْمًا تُسَدِّدِ
- وَبَيْنَ النَّدَى وَالشَّرِّ قَارِنٌ مُلَاحِظًا [26] فَضَائِلَ رَبِّ الْعَرْشِ وَالْفَضْلِ تَهْتَدِ

- أَذَى النَّاسِ مَرْدُودٌ عَلَيْهِمْ حَقِيقَةٌ [27] وَلَكِنْ إِذَا تَشْغَلَ بِهِ النَّفْسُ تَبْعُدِ
- بِنَافِعِ أَفْكَارٍ - أَخِي - كُنْ مُطِيبًا [28] حَيَاتِكَ تَنْسَ الْهَمَّ حَتْمًا وَتُحْمَدِ
- وَلِلَّهِ لَا لِلْخَلْقِ عَامِلٌ مُخْلِصًا [29] مُرَادَكَ لِلرَّحْمَنِ رَبِّي وَسَيِّدِي
- وَأَعْمَالُكَ احْسِمَهَا بِأَنْكَ عَاجِلًا [30] وَلَا لَا تُؤَجِّلْ فِعْلَ يَوْمٍ إِلَى غَدٍ
- وَرَتَّبَ - هُدَيْتَ - الْأُولَوِيَّاتِ مُطْلَقًا [31] وَبِالْحَمْدِ وَالتَّسْلِيمِ أَنْهِيَ وَأَبْتَدِي

الْخَاتِمَةُ

وفي ختام هذه الرسالة الطيبة أزفُ بُشْرَى مِنْ مِشْكَاةِ الْوَحِيِّينَ لِمَنْ صَبَرَ عَلَى مَا أَصَابَهُ مِنْ حُزْنٍ وَغَمٍّ وَهَمٍّ وَاحْتَسَبَ¹؛
1- الأولى:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [سُورَةُ التَّوْبَةِ، الْآيَةُ: 120] .

2- الثَّانِيَّة:

عن أبي سعيد وأبي هريرة أَنَّهما سمعا رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلم يقول:
مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ: نَصَبٍ، وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ، وَلَا حَزْنٍ، وَلَا أَذًى، وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكِّهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ.

رواه البخاري (5641)(5642)

ولفظُ مسلم (2573):

مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ: وَصَبٍ، وَلَا نَصَبٍ، وَلَا سَقَمٍ، وَلَا حَزْنٍ، حَتَّى الْهَمِّ يَهْتُمُّهُ إِلَّا كُفِّرَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ.

1 لقوله صَلَّى الله عليه وسلم: " لا أَجْرَ لِمَنْ لَا حِسْبَةَ لَهُ "، وهو في السلسلة الصحيحة برقم (2415).

فهرس المحتويات

المَوْضُوعَات	الصَّفْحَة
المُقَدِّمَة	9-5
التَّعْرِيفُ بِالْمَوْلَّفِ	26-13
التَّعْرِيفُ بِالْمَوْلَّفِ	46-28
الْوَسَائِلُ الْمُنْفِذَةُ لِلْحَيَاةِ السَّعِيدَةِ	74-49
الْقَصِيدَةُ نَظْمُ الْوَسَائِلِ الْمُنْفِذَةِ لِلْحَيَاةِ السَّعِيدَةِ	81-76
الْخَاتِمَة	83